منة طارق سليم
رواية
في وادي الملوك

اهداء

كم تمنت ابنة اختي نهلة أن تعيش مغامرة مثل الأفلام التي تشاهدها وكم تمنيت أنا لها ذلك أكثر منها لذا إلى الجميلة نهلة علي محمد علي اهدي هذه الرواية المرعبة واتمنى أن تكون يومًا أحد الفتيات الثلاثة..

رجاء لا أحد يسألني من ستكون من الفتيات الثلاثة واتركوا الامر لنيتي حتى لا تحدث شجارات.

منة

رواية

في وادي الملوك

بقلم

منة طارق سليم

الفصل الأول

ركب ثلاثة شباب تبدو عليهم الرفاهية والثراء سيارة سوداء تقف بالقرب من قصر ضخم، بعد أن وضع كل واحد منهم العديد من الحقائب والأغراض في حقيبة السيارة من الخلف، ثم ركب أحدهم على معقد القيادة والثاني بجانبه وشاب ثالث اجنبي الملامح، في المقعد الخلفي ولم تتحرك السيارة فقال أحدهم: هيا لنذهب .

فرد الشاب الجالس على مقعد القيادة: ألا ترى سيارة الفتيات لم تنطلق بعد، أبي أوصاني بمراقبة أختي ريناي، فهي رقيقة وحساسة وتحتاج لمن يهتم بها. فرد الشاب الذي بجانبه على المقعد وهو يضحك: عمي أوصاني أيضا ب نيس، فهي مدللة بشكل غير طبيعي وتثير المشكلات اينما ذهبت. رد الأجنبي الذي بالخلف: إذن ريناي أختك يا عاطي، وماذا عن الفتاة الجالسة معها في السيارة؟ رد عاطي وهو يضحك: التي تجلس معها في السيارة أنها نيس خطيبة أحمد التي تحدث عنها للتو.

فنظر الأجنبي الذي يدعى جورج لسيارة الفتيات وقبل أن يسأل قال عاطي: وتلك الفتاة القادمة من بعيد صديقتها آسيا.

رد أحمد: خطيبتي نيس تكرهها بشدة ولا اعلم السبب؟ فهى تبدو فتاة طيبة.

نظر له عاطي وهو يكذبه بنظره عيونه وقال ساخرا: لأن خطيبتك نيس لا تصاحب إلا الأثرياء ومع الآخرين تتكبر وآسيا ذات كرامة فلا تتحمل غطرستها. رد أحمد بلهجة أكثر سخرية وقال: اصمت أنت يا أبن الوزير ولا تتحدث عن التكبر، فأنت تسير بين الناس تقول: أنا ابن وزير، أنا ابن وزير، وكلما عارضك موظف في أي مصلحة حكومية تتصل بوالدك ليرفده أو يعاقبه . أحمد وعاطي يتحدثان ويسخران من بعضهما وجورج يفهم كل كلمة ولا يدرك مغزاها فقال بلهجة مصرية ركيكة: اتحدث العربية منذ سنوات ولا أفهم كلام المصريين !!!

ضحك كلاهما عليه وضربه أحمد بخفة في كتفه وهو يقول: ثقافة المصريين ولغتهم لن تجد ترجمتها في قواميس اللغة العربية بل تجدها فقط بيننا.

ثم تابع الاثنان الضحك والمزاح، نظر جورج لهما وهما يستمران في السخرية من بعضهما، عاطي يسخر من أحمد ونيس وأحمد يسخر من عاطي وريناي ، وبالقرب منهم تقف سيارة الفتيات وتجلس ريناي على مقعد القيادة مرتدية نظارة سوداء فوق رأسها وتنظر لآسيا القادمة. وبجانبها نيس ترتدي نظارتها الباهظة الثمن وتتأفف قائلة: لا اعلم لماذا دعوتي تلك الفتاة! فهي لا تطاق. إلتوت شفتي ريناي ثم زفرت وهى تقول: كانت

صديقتي ونحن صغار ولا تزال صديقتي، كما أنها ستفيدنا في هذه الرحلة فهى تدرس في كلية الأثار قسم مصري قديم وستكون مرشدتنا في وادي الملوك. ردت نيس وهى تخرج سماعة الأذن ثم تنفخ في أظافرها الطويلة بتعجرف وقالت: السماعات سوف تنقذني من الاستماع لها، فهى مزعجة بمعلوماتها، ستظن نفسها وزيرة الآثار، وكل هذا بسبب حماقتك.

لم ترد ريناي بل ضحكت لأنها تعلم أن نيس فاشلة في التعليم وتغار من اجتهاد آسيا، وصلت آسيا وركبت السيارة من الجانب الثاني لتتجنب نيس وانطلقت سيارة الشباب تلحق بها سيارة الفتيات. تسير السيارة داخل بين دروب وادي الملوك العظيم، تجولوا في أجمل المقابر تشرح لهم آسيا ونيس تضع السماعات في أذنها تسمع للأغاني وتتعمد تجاهل حديث آسيا عن هذا النقش وتلك الرسومات أو وهى تحاول ترجمة ما على الحائط من نصوص مكتوبة باللغة المصرية. أما جورج فتكاد أذنيه تلتهم ما تقول آسيا، بينما يعبث عاطي وأحمد في داخل المقابر ويمزحون هنا وهناك ويلتقطون الصور، ونيس تسجل فيديوهات مباشرة و تغني بجانب الآثار وتتفاخر بالحضارة المصرية التى لا تعلم عنها شيئًا. لم يحصل على المتعة والاستفادة في هذا اليوم سوى جورج، خرج الجميع من أخر مقبرة قاموا بزيارتها واقترب المساء وبدء السياح في مغادرة وداي الملوك والشمس تميل للغروب خلف الجبال.

فقال أحمد وهو ينظر لعاطي قائلا: يا ابن الوزير لنرى هل ستستطيع فعلها أم لا؟

رد وهو يضع النظارة فوق رأسه: لو أن وزير الأثار جاء ليمنعني من فعلها ما استطاع، هيا احضر الخيام من السيارة وأنا سأحضر باقي الاغراض، فالليلة طويلة وشيقة،، سنبيت ليلتنا بين مقبرة الملك رمسيس والامبراطور تحوتمس.
وأخذ يقهقه ويمزح باقي الوقت وهو يحمل الاغراض من حقيبة السيارة ثم يذهب بها وسط الجبال، بينما حراس المنطقة الأثرية يغلقون المقابر ويراقبون السيارات وهى تغادر الوادي. حضر حراس الوردية الليلية لاستلام ورديتهم في حراسة الوادي، رأهم أحد حراس المنطقة وهم يحملون الأغراض ويتجهون للجبل، وقبل أن يسأل رن هاتفه، فأجاب: ألو، آسيا، هل انتهت رحلتك مع المغرورة ام لا ؟ فالشمس تغيب.

ردت آسيا وهى تخفض صوتها: اسمعني جيدا ولا تظن أنني امزح فيما أقول، سمعت ريناي ونيس منذ يومين يتحدثان أن الشباب سيخيمون هنا، وظننتها مزحة، وهم الآن يخرجون الأغراض للتخييم!

هيا قم بعملك أنت ومن معك وامنعهم من هذا الجنون، فقد يفسدون أثر ما أثناء التخييم، انهم شباب طائش في قمة الاستهتار.

أغلق هاتفه بعد أن أكد لها أنه سيخبر رئيس الحراس بذلك، وسار بجلبابه الصعيدي فأخبر رئيسهُ بما يحدث فرد عليه بغرور: سأقوم بطردهم الآن. سار وخلفه ثلاثة حراس يرتدون الجلباب الصعيدي وشقيق آسيا يسير بينهم . وصل المسؤول إلى الثلاث شباب وقال لهم وهم يرتبون الأغراض على الأرض: أيها السادة انتهى وقت الزيارة وعليكم مغادرة الوادي قبل حلول الظلام.

ضحك عاطي ولم يرد بل تابع فتح تلك الحقيبة وإخراج ذلك البطارية، فأعاد المسؤول ما قال، وتنبهت الفتيات فإقتربن من الشباب يراقبن ما يحدث. أخيرًا رد عاطي بتكبر: أنت لا تعلم من أكون، أنا أبن الوزير محمد كمال وقد قررت أن أخيم هنا أنا واصدقائي. تلون وجه الرجل باللون الأصفر وضعفت نبرة صوته وقال: سيدي ليس من شأني أن أعلم من تكون، هذه منطقة أثرية هامة ومكلفين بحراستها ليلًا، ويمنع التخييم أو التواجد بها لغير العاملين، رجاء لا تعرضني للعقاب لعدم تنفيذ مهامي وتفضل بالمغادرة. تراقب نيس بعيونها الزرقاء وتنظر إلى ريناي بتحدي، هل سيقوم شقيقك بفعلها؟

وريناي تمسك بالهاتف وهى متأهبة للاتصال بوالدها إذا أطال المسؤول الجدال مع شقيقها، اتصل شقيقها عاطي بوالده الذي اتصل فورا على مدير أمن محافظة الأقصر الذي اتصل بدوره على من يرأس المسؤول عن الحراسة، وبغرور مد عاطي الهاتف للرجل ليتحدث مع رئيسه في العمل.

تحول وجه الرجل من اللون الأصفر للون الأسود وزاد اسوداد لون وجه شقيق آسيا وباقي الحراسة، ونيس تنظر إلى آسيا بشماته، حقا الجواب يبان من عنوانه، وعنوانه الظاهر على وجه الضابط لا يبشر بخير. أنهى المسؤول مكالمته وهو يقول: امرك يا فندم، أنا فقط كنت احاول القيام بعملي وتنفيذ التعليمات لا أكثر ولا أقل... استدار بعد أن أغلق مدير الأمن الهاتف في وجهه، يمشي ولا يستطيع أن يرفع عيونه فيمن يرفعون عيونهم بوقاحة.

فقالت نيس بتهكم: أليس هذا شقيقك يا آسيا؟ ذلك الحارس الذي يسير في المؤخرة . قالتها وهو تشير كالعادة بطرف أصابعها .

جذبتها ريناي من يدها وهى تحاول أن تشوش عليها قائلة: يا لها من فرصة رائعة يا آسيا، شقيقك متواجد هنا يحرس المنطقة، ما رأيك بالتخييم معنا الليلة؟ ردت آسيا: ماذا؟ اخيم معكما!

نظرت للوادي الذهبي وهى شاردة، وريناي تنظر إلى وجهها الذي تزينه سمرة خفيفة، رؤيتها للعين كمذاق السكر للفم، سمرتها كسمرة كوب قهوة يبتسم لك في الصباح، كل نظرة لها كرشفة من الكوب، لا تمل من سمارها، وظلت آسيا تقلب الفكرة في عقلها كما تقلب السكر في البن لينضج ويصبح حلو المذاق. تسحر عيونها
رؤية الوادي وأخر شعاع ذهبي يختبئ خلف جبل ذهبي يحتوي على مقابر أغلى من الذهب، وتشعر أن هناك شئ يناديها من قلب الوادي ويجذبها للمكوث هنا، شئ ما من بين الجبال يدعوها، لا تسمع ندائه ولكن تشعر به، يناديها خفية، يهمس في اذنها هى فقط. نضجت الفكرة في عقلها وتشربتها بسعادة للانتباه لهم في الليل، فهى تتوقع منهم أي تصرف طائش فقالت: أنها فكرة عبقرية سأتصل بأخي.

سارت خطوات تتحدث مع أخيها وتترامى إلى أذنها من بعيد غطرسة نيس التي تلمذ ريناي بلسانها قائلة: كيف تدعوها للتخييم معنا وتنال ذلك الشرف مثلنا! يا لك من غبية. ردت ريناي وهى تحدق بها بعيونها العسلية المشوقة كحبة لوز وقالت: انتِ وخطيبك هنا بفضل أبي، وأنا وعاطي من يحق لنا أن نقرر بقائها أو مغادرتها .

ردت نيس وهى تفتح حقيبتها وتخرج العصائر وقالت بعجرفة: هل ظننتِ أن هذا انجاز؟ لو تركتي الأمر لي لألقيت لذلك المسؤول والثلاث حراس ألف دولار ولما أضعت وقتي في الاتصال بالوزير.

وصل شقيق آسيا من بعيد وتناولت آسيا منه حقيبة ما وهى تبتسم ثم قالت: شكرا لموافقتك، كنت أتمنى ذلك منذ زمن وسأضع عيوني عليهم في الليل.

رد شقيقها بطيبة: هذه الحقيبة مليئة بطعام يكفي لثلاثة أيام، لأنني جهزتها لثلاثة أفراد وقد غادر الحارسان ولم يبقى سوى أنا والضابط، حتى لا تحتاجي لتلك المغرورة، تصبحين على خير، أنا بجوارك في الجبل التالي.

بعد لحظة نظرت الفتيات الثلاثة للجبال يختارون المكان الذي سينصبون به الخيمة، عيون الثلاثة تتجه صوب مكان واحد، وكأن به مغناطيس يجذبهن إليه، فاتجهت إليه ريناي وتبعتها آسيا ونيس بدون نقاش.

نصبت ريناي وآسيا الخيمة تحت سفح أحد الجبال ويحيط بهن من كل جانب جبال تتلاصق وتتلاحم من كل جانب، ونيس تستمر في التظاهر بالانشغال بأي شيء، لكي لا تقوم في الحقيقة بأي عمل، وتحت سفح الجبل التالي نصب الشباب خيمتهم وأشعلوا بعض النيران أمام الخيمة للإضاءة.

ومن بعيد تسمع صوت مزاح الشباب وأقرب قليلا من خيمة الفتيات تسمع صوت نيس تتألف، ما هذه البعوضة؟ أف! لو علمت أن التخييم متعب هكذا لما خيمت، وتتسلى ريناي وآسيا برؤية أفعالها التي قد تصل بك للضحك.

اقترب الليل من الانتصاف ودخلت الفتيات الخيمة للنوم، وبالخارج كلب ريناي يجلس أمام الخيمة بجانب النار، يقضي وقته بالمشي إلى خيمة عاطي ثم يعود فينام أمام خيمة الفتيات.

القى أحمد بالهاتف بجانبه و قال: نفذت بطاريته سريعا ومازال أمامنا نصف الليل. جورج جالس على صخرة ما ينظر للوادي وعاطي ظل مع هاتفه حتى نفذت بطاريته أيضًا، عندها نظر إلى أحمد وقال: إذن لنفكر سويا في شئ نفعله.

عند خيمة الفتيات الهدوء يعم حتى بقايا النار انطفأت، والكلب نائم بجانبها باسط ذراعيه وواضع رأسه عليها مغمض العينين، رفع أذنه فجاءة ثم دار بها حوله يستمع لصوت ما ، وفتح عيونه يبحث عن الصوت، دار برأسه وعيونه تحدق في الظلام، شعر بهزة في الأرض أسفل اقدامه، ثم عوى بصوت مكتوم كالمتسائل الخائف.

ومن الظلام ظهرت فجأة صخرة كبيرة تتدحرج في اتجاهه، قفز من مكانه وهرول حتى تفادي الصخرة وهى تتدحرج بسرعة وهو ينبح عليها بغضب. ما كادت الصخرة التي تتدحرج تستقر في مكانها حتى وجد صخرة أخري تأتي من الظلام وتتدحرج، فعلى صوت الكلب بالنباح أكثر هذه المرة واتجه لخيمة الفتيات وهو ينبح.

استيقظت آسيا وهى تتساءل لماذا ينبح كلب ريناي بهذه الطريقة؟ ! أرادت أن تخرج من الخيمة لترى ماذا هناك ولكن شعرت بالخوف والكلب لا يتوقف عن النباح فأيقظت ريناي، فركت ريناي عيونها ووضعت يدها على فمها وهى تتثاوب وقالت: من الطبيعي أن ينبح الكلب، فإذا لم ينبح فماذا سيفعل؟ ردت آسيا بقلق: لا، انه ينبح بصوت مخيف، هناك شئ يحدث بالخارج. حكت ريناي في جبهتها وعبثت في شعرها وهى تتململ، فصمت صوت الكلب فجاءة، فقالت بسرعة وهى تعود للنوم وتشد الغطاء عليها: ها قد صمت عودي للنوم.

ظلت آسيا للحظات مستيقظة فلم تسمع نباح الكلب، فأخافها صمته أكثر مما اخافها نباحهُ، مدت يدها توقظ ريناي وبعد أن لامست شعرها برفق تراجعت وهى قلقة من أن تزعجها، هل ستوقظها لتقول لها الكلب صمت!
نظرت بجانبها حيث باب الخيمة ونهضت بتردد وفتحته بالكاد فتحة صغيره تكفي لنصف عينها تنظر للكلب ..

الكلب... ليس بالخارج! نسيت خوفها وأخرجت رأسها من الخيمة، نظرت للجهة اليمنى فلم تجده، نظرت للجهة اليسرى فلم تجده! فارتمت على ريناي توقظها وهى تقول: ريناي الكلب اختفى، كلبك اختفى .

فصاحت بها نيس من الجهة الأخرى: ليذهب الكلب اللعين للجحيم، ليحترق إلى الأبد، هل سأظل طوال الليل أستيقظ كل دقيقتين بسبب الكلب، ينبح الكلب تقولي نبح، يصمت فتقولي اختفى! فردت آسيا: ليس الكلب فقط بل الصخور هناك صخور كثيرة حول الخيمة . صرخت بها نيس: نحن في جبل ومن الطبيعي أن يكون هناك صخور ايتها المعتوه.

فقالت آسيا : لا، أنا اقصد.. فقاطعتها نيس قائلة: عودي للنوم أو اصمتي.

وسحبت الغطاء لتنام وهى تتألف قائلة: كلب ،صخور ،بَعوض، يا لها من ليلة مشؤمة.

ردت ريناي وهى تنظر إلى آسيا قائلة: هذه أول ليلة لكِ في التخييم فتراودك كوابيس وهواجس، تجاهليها ونامي يا آسيا.
وسحبت الغطاء هى الأخرى ونامت، وظلت عيون آسيا مستيقظة. بعد قليل هيئ إليها أنها تسمع صوت شئ يتحرك من بعيد ، في الحقيقة لم يكن يخيل إليها، بل صخرة أخرى اكبر حجمًا تأتي من الظلام.

في أثناء ذلك وصل الكلب إلى خيمة عاطي وجد باب الخيمة مفتوح ، نبح أمام الخيمة مستغيثا فلم يستيقظ أحد، نبح مرارًا وتكرارًا ولم يخرج أحد. فدلف الكلب للخيمة ، فلم يجد أحد! نبح كالطفل الصغير وهو خائف ثم خرج يركض في اتجاه خيمة ريناي. سمعت آسيا نباحه فنهضت، فوجدت نفسها تنزلق وتقع وكأن الأرض قد تحركت من أسفل أقدامها، وقفت مرة ثانية وهى تمسك رأسها . نظرت تحت أقدامها، شعرت أنها تهتز، لا، الأرض حقا تهتز.

اقترب الكلب أكثر أمام باب الخيمة فشعر أن الأرض تهتز وهو ينظر للأرض واذنيه تنصتان، رفع رأسه مذعورا وهو ينبح بشكل هستيري في اتجاه الخيمة، ثم توقف عن النباح فجأة وهو يهرب وذيله من الخوف ملتصق بقدميه الخلفيتين يخشى من أن يمسك أحدهم به من ذيله وهو يهرب بعيدًا.

****

الفصل الثاني

هرب الكلب من جانب الخيمة وهو يرى من بعيد صخرة أخرى تتدحرج في نفس الاتجاه كالسابقة، وقفت آسيا وهى تشعر بأن زلزال يضرب الخيمة وصاحت بهما: استيقظا، استيقظا، شئ غير طبيعي يحدث هنا.

ثم صاحت وهى تمسك برأسها تحاول أن تثبتُ في وقفتها وتصيح: ما الذي يحدث؟ بدأت الأرض تتشقق من حول الخيمة وتتسع الشقوق وتتفرع ثم خفست بالخيمة خفسة واحدة وهوت الأرض بمن فيها فيما يشبه بئر سحيق.
تعالت أصوات الثلاثة بالصراخ من الفزع بعد أن ابتلعتهم الأرض، وسقطت الخيمة فوق رؤوسهن والثلاثة في ذعر.
عيونهن تدور وتتساءل عما حدث؟ هل هذا كابوس مخيف أم حقيقة مرعبة؟ نبح الكلب من أعلى البئر ودار حولها وهو ينظر للأسفل ثم هرول إلى خيمة عاطي، الخيمة لا تزال فارغة، عوى الكلب بخيبة وهو يطالعها ويبحث عن عاطي.

عاطي وأحمد وجورج فوق سطح الجبل يلعبون ويلهون ويقضون وقتهم في دحرجت المزيد من الصخور، يضحكون، يمزحون، يقهقهون، وهم يرسلون الصخور لسفح الجبل حيث كانت تستقر خيمة الفتيات . مدت آسيا يدها بعد السكون المخيف ورفعت الخيمة من فوق رؤوسهن، فوجدن أنفسهن في القاع ولا تظهر حتى السماء من ظلام البئر الدامس من عمقها السحيق، بدأ الصراخ من جديد وزاد واشتد وهن في قاع البئر ولا شئ يسمع صراخهن سوى جدران الخوف.

تذكرت ريناي الهاتف فالتقطته تتصل بعاطي، عاطي هاتفه بطاريته فارغة أكثر من عقله، فلا يسمع نباح الكلب الذي ينتحر أسفل الجبل يريد أن يخبر عما حدث فلا يجد من يخبره. وهم يستمرون في دحرجت الصخور لنفس المكان .

القت ريناي بالهاتف بغضب وهى تقول: لابد أن بطاريته فارغة. تناولت نيس هاتفها وهى تقول: سأتصل بخطيبي. وخطيبها كصديقه، أزالت الهاتف من على أذنها وهى تقول: ما الذي حدث لهما، لا أحد يُجيب. سرحت آسيا في البئر، كل المواقع هنا تخص المقابر، فما هذا المكان؟ وما علاقتهُ بها؟

ما هذا المكان المقرف الذي سقطنا به؟. تلفظت بها نيس، ردت آسيا وهى تحدق بها : لا تسألي عن أسئلة لو أجبتكُ عنها ستندمين.

نظرت إلى ريناي ثم قالت بعناد وهى تُهز رأسها: لا لن أندم، أين نحن الأن؟

حدجتها آسيا بنظرة تحذير والآخرى تطالعها بحدة تنتظر الإجابة فردت آسيا وهى تنظر إلى جدران البئر: نحن في المدخل الذي يؤدي إلى أحد المقابر.

ما كادت تنتهي من عبارتها حتى بدأت كلتاهما في الصراخ بشكل هستيري، وهما تمسكان ببعضهما في خوف، وبالكاد سكتتهم وهى تقول: لا تخافا سنخرج من هنا ، سأتصل بأخي وسنخرج. وبدأت تبحث في اغراضها عن الهاتف وهى تقول: كان هنا.

****

وقف المسؤول في غرفته وهو يقول: حان موعد دوريتك للمراقبة يا بشندي. خرج بشندي يتجول بالوادي ولم يكد يبتعد قليلا حتى رن أحد الهواتف بجانب الرجل وضع المسؤول يده في جيبه يخرج هاتفه، ثم نظر في اتجاه الصوت وقال: ذلك الذكي نسى هاتفه .

وقام بضبط الهاتف ليجعله صامت وهو ينظر لشاشته فرأى الرقم مسجل باسم آسيا شقيقتي الصغرى وقال: ليس لدي وقت لشقيقتك. عدم إجابتهُ هذه المرة لم يكن مفاجئ ولكنه كان محطم. فقالت آسيا بغضب: ما مشكلة هؤلاء؟ لا أحد منهم يجيب.

وردت ريناي: أنا لا أستطيع الانتظار حتي يُجيب أحدهم، ونظرت لجدران البئر وقالت: سأموت من الخوف.
فنظرت آسيا للجدار وهى تقول: هيا نحاول الخروج بتسلق الجدار .

تسلقت ريناي صخرتين من الجدار ثم لم تلبس أن هبطت، وتسلقت آسيا حوالي مترين ثم وضعت يدها في فجوة في الجدار تتشبس بها وهى تصعد وإذ بحرباء تخرج من الفجوة وتزحف على يدها، فصرخت وانزلقت وسقطت واصطدم ظهرها بالأرض بقسوة، فتضرر حتى أنها نهضت وهى تسنده بيدها من الألم. نهضت وهى تنظر للأعلى بريبة حيث عاد الكلب للنباح وهى تقول في سرها: أعلم أن شئ أسوء على وشك الحدوث وعلي الإسراع، لا وقت للألم . أخذت تتسلق الجدار بإصرار كمن يتشبس بالحياة وريناي ونيس تراقبان بحماس ونيس تقول: جيد ستصعد وتخرجنا من هذا البئر المقزز. تعرقت آسيا وتكسرت أظافرها وجُرحت أصابعها من الصخور المدببة وكلما زاد صوت نباح الكلب من الاعلى تتشجع وتقول: لقد اقتربت.

تجاوزت منتصف جدار البئر وأنفاسها تكاد تنقطع ..

وأعلى سطح الجبل جلس الثلاثة يستريحون، ثم رفع عاطي رأسه من على الأرض بعد أن كان نائم مستلقي على ظهرهُ وهو ينظر للجهة اليمنى ويقول: ما هذا ؟ ! نظر جورج وأحمد حيث ينظر، صخرة عملاقة بحجم غرفة كاملة تجلس متربة فوق سطح الجبل، فقال أحمد: لن أهبط للأسفل قبل أن ادحرج هذه الصخرة . ونهض مسرعا وأخذ يدفع الصخرة التي تشبه الكورة العملاقة ولكنها لم تتزحزح ولو حركة بسيطة.
ضحك جورج عليه وقال عاطي ساخرًا: بلى ستهبط للأسفل قبل أن تدحرجها. استفزته سخرية عاطي فغاب عنهما للحظات وعاد وهو يمسك بخشبة طويلة ثم ثبتها أسفل أحد جوانب الصخرة وأخذ يضغط بكل قوة على طرف الخشبة من الجانب الثاني.

****

عاد شقيق آسيا من دوريته فوجد آسيا قد اتصلت عدة مرات فأمسك بهاتفه ليتصل بها.

آسيا على الجدار تتسلق ومتشبسه بكل قوتها، تقترب من السطح والكلب ينظر إليها ويهز ذيله في رضى وكأنه سعيد بنجاحها في الصعود بينما الصمت يملأ البئر وعيون نيس ورينـاي تراقبان في الظلام.
رن الهاتف في البئر فتشتت آسيا وهى تتسلق فانزلقت ما يقرب من ذراع للأسفل فصرخت ولكنها استطاعت أن تتشبس بالجدار ثانية وتلتصق به تقاوم السقوط.

الفتاتان بالأسفل تراقبان ورينـاي تصرخ: انتبهي. تشتت الثلاثة حتى ثبتت آسيا على الجدار، اسرعت رينـاي والتقطت الهاتف من بين الحقائب.

****

بدأت الصخرة تهتز فتشجع أحمد وضغط بكل قوتهُ بذراعيه القويتان عليها حتى كادت عروقه أن تنفجر، وها هى الصخرة تتحرك، انقلبت وأخذت تتدحرج وكأنها جبل صغير يتدحرج فوق جبل أكبر محدثة زلزلة تهز الأرض أسفلها من ضخامتها وتحرك الصخور الأصغر حجمًا .

****

في أثناء ذلك

اجابت رينـاي على الهاتف بلهفة: ألو، ألو، ألو

رد بشندي بتوتر:آسيا ماذا بك صوتك متغير ولماذا تتصلين في وقت متأخر؟

رينـاي بضيق: لست آسيا أنا رينـاي .

بشندي بقلق: أين آسيا؟

رينـاي بتوتر: لا يهم أين آسيا الأن اسمعني...

قاطعها قائلًا : كيف لا يهم أين آسيا؟ انها اختي وهذا هاتفها، أين هي؟ صرخت به: نحن بحاجة للمساعدة بسرعة..

تشتت آسيا مما يحدث فانزلقت قدمها للمرة الثانية وكادت أن تقع ولكنها تعلقت بالجدار بيدها اليمني بعد أن انزلقت للأسفل شبر واحد، والكلب من الأعلى يراقبها فرأي الصخرة العملاقة في طريقها إليه، فتراجع للخلف وهو ينظر للأسفل بشفقة ويعوي عواء المولول ثم نبح بفزعة وهو يهرب بعيدًا.

سقطت الصخرة على فتحة البئر فأغلقتها ومحت ملامحها وأحكمت أغلاقها، وصرخت آسيا وهى بينها وبين السطح نصف شبر وتنظر للأعلى في حسرة وغضب.

انقطع الاتصال بين رينـاي وشقيق آسيا واحُكم الظلام ورينـاي تصيح بالهاتف: ألو، ألو اننا في بئر، في بئر...

****

الفصل الثالث

هبط الثلاثة المستهترون ونـاموا في الخيمة كالقتلى لا يشعرون بشئ وإن قطع الكلب صوته في النباح عليهم فهم لا يفهمون أو يشعرون. عَلت الشمس في السماء، ثلاثة في خيمة وثلاثة في بئر وشقيق آسيا منذ الليل يدور في المكان يقول في سره: كانت ستخيم في هذا الجبل فأين ذهبت؟ وأين ذهب الجميع؟ السيارة لا تزال هناك عند نهاية الجبل في مكانها، هاتفها لا يجيب.

عند الظهيرة كان الثلاثة قد بحثوا في كل كهف ومغادرة وجبل ولا يوجد أثر للفتيات! اللاتي يصرخن بأعلى صوتهن : النجدة النجدة نحن هنا في البئر. صوتهن لا يتجاوز منتصف البئر للأعلى، وبشندي شقيق آسيا يصرخ في المشرف عليهم : لا أجدها لا أجد شقيقتي، بالتأكيد كان هناك شئ يحدث عندما اتصلت في الليل ولم تجيبها، كان عليك أن تجيب . تجاهله الرحل وسار يغادر الوادي وهو يقول: شقيقتك ليست مشكلتي، ابحث عنها أين هربت في الخفاء في ظلام الليل كمن تهرب من جريمة أو فضيحة .

أدار وجهه ل بشندي الحانق ليجد أمامه الطريق مسدود بثلاثة شباب وعاطي يصرخ به: لا أجد شقيقتي أو خطيبة أحمد، لقد تركناهم بالأمس بالقرب من هذا الجبل ولم نجدهم. ثم رفع عاطي اصبع السبابة وأشار له بتهديد قائلًا: أنت المسؤول عن وادي الملوك أكلفك بالبحث عن شقيقتي وخطيبة أحمد وإذا لم تجدهم قبل المساء سأتصل بأبي.

لكل قوي من هو أقوى منه، ولكل مغرور من هو أكثر غرور وقادر على كسر انفه، وها هو يجمع الحراس ليجوب وادي الملوك شبرًا شبرًا وذراعا ذراعا يبحث عنهم على سطح الأرض وهن في باطنها، فتشوا المقابر قبر قبر ولا أثر لهن.
وبعد وقت طويل وقف كالطالب الذي لم يقم بواجبهُ أمام معلمه صاحب العصا وقال: لا أثر لهن يا استاذ عاطي.
السياح من حولهم يتوافدون على الوادي لزيارة المقابر وصوت عاطي وهو يسب ويشتم يتعالى فينظرون له، لا يفهمون شئ مما يقول، ولكن تعبيرات وجهه وحركة جسده ويديه كافيه ليفهموا.

ثم وقف المسؤول كالمذنب أمام مدير أمن محافظة الأقصر الذي حضر يحاول إيجاد حل للمشكلة قبل أن يتسرب الخبر للصحافة فتكون ضربة للسياحة في موسم السياحة الأشهر في فصل الشتاء.

****

تصرخ ريناي أخر صرخة استطاعت أن تصرخها، فقد نفذت أنفاسهن من كثرة الصراخ لمدة يوم كامل يصرخن ولم ينجدهن أحد، لا يمكن أن يزداد الوضع سواء. بلى جاء الظلام وتبللت جدران البئر من حولهم، إنها تمطر بالأعلى ويتسرب لهن المطر من الحائط، يبدو أن به فتحات تسرب منها المطر للبئر .

انهارت قوتهن وهن في قاع اليأس فتكبر القاع عليهن، وامتلئ بالماء ونهضن يجلسن فوق الصخور يحملون الحقائب وأي شئ يستطيعون حمله حتى لا يفسد من الماء الذي يرتفع بسرعة.

قالت نيس ل ريناي وهى تطالعها بغضب: تلك الفكرة السخيفة كانت فكرتك ليتني ما خيمت معك.
فردت ريناي وهى تتمالك أعصابها: انتِ تلوميني الأن وكنت من قبل تستفزين غروري لتنفيذها، كما أنها في البداية كانت فكرة خطيبك.

نيس بعجرفة:لا بل كانت... صاحت آسيا مقاطعة لحديثهما: توقفا عن الشجار وانظرا إلى تلك المصيبة القادمة.

نيس وجهها لوجه ريناي، فنظرتا حيث تشير آسيا بخوف. صرختا وامسكتا ببعضهما، عقارب تزحف على جدار البئر وثعبان أسود كبير يسبح على وجه الماء في اتجاههم .

الماء جعل العقارب والثعابين تخرج من حجورها، والعقارب تزداد و تحيط بهم على جدار البئر والثعابين تسبح في اتجاههم .

فقالت آسيا بدون تفكير: هيا لنذهب لذلك المدخل هناك. واضاءت الكشاف في أحد جوانب البئر حيث عدد من الصخور المتراكمة يعلوها مدخل صغير، ليس باب ولا مدخل بل يشبه الجحر أو فتحة مظلمة في جدار البئر.
جثت على ركبتها وهى تجتازها زحفا وتمسك الكشاف بفمها لتضئ أمامها . وصلت ريناي بعد نيس للجانب الثاني للمدخل وهى تسحب خلفها أخر حقائبها وجلسوا متلاصقين بجانب المدخل وريناي تقول: لا أعلم أين كنا ولا إلى أين ذهبنا. ونظرت ل آسيا وقالت: أين نحن؟ فذلك المدخل الذي عبرنا منه يبلغ طوله عدة أمتار .

عيون آسيا تخفي شئ ما فقالت بتردد: لست متأكدة بعد مما سأقول، كنت أظن أنه مدخل وهمي لأحد المقابر لتضليل اللصوص ولكن بعد الوصول إلى هنا فنحن سقطنا في المدخل الحقيقي لهذه المقبرة.

لم تخبرهما بكل ما يدور في عقلها، هذه المقبرة غير معتادة، هى ليست لملك أو نبيل فكيف تتواجد في وادي الملوك إذن ؟

لا تزال تفكر وتحلل في المقبرة ونيس ورينـاي تتناقران حتى سمعت صوت نيس تقول: إذن هذه مقبرة لعينة فأين يوجد الذهب؟

شعرت آسيا بخوف وصوت مخيف يتردد ويقول: لعينة، لعينة، لعينة. ردت رينـاي بسخط: تتفاخرين بأموال والدك كل دقيقة وتسألين عن الذهب! هذا ما يشغل بالك؟ بل أسالي كيف حدث كل ذلك؟ وماذا سنفعل؟ ونظرت إلى آسيا وقالت: كيف حدث كل هذا ؟

ردت آسيا بضيق: لقد نصبنا الخيمة فوق سقف مدخل المقبرة من الاعلى دون أن ندري ثم هوى السقف بنا، من الممكن أن يكون تهدم بسبب طول المدة فهو من الآلاف السنيين فسقط بنا وتلك الصخرة التي لا اعلم من أين جاءت أغلقت فتحه البئر عند سطح الأرض فلا أحد يرانا الآن، هل تذكرون عندما قلت لكما هناك الكثير من الصخور حول الخيمة بشكل غريب وسخرتي مني ؟. صمتت كلتاهما وهما ينظران لبعضهما وقالت رينـاي: أكملي .

فأكملت آسيا: ولأننا في قاع البئر تحت سفح الجبل فالماء يتجمع بقوة وينحدر لنا وإذا لم يتوقف هطول المطر سيغرق البئر وسيرتفع الماء أكثر ويغمر المدخل ويصل لنا ونضطر للصعود على هذه السلالم. سلالم! هكذا نطقت بها رينـاي بغرابة وهو تنظر حولها. فأكملت آسيا: أجل هناك سلالم تصعد للأعلى بعد هذا المدخل.
واكملت بصوت حذر وهى تنظر حولها: صاحب هذه المقبرة...انه...انه...شخص ليس عادي، فقد جعل مدخل مقبرته منخفض جدًا عن المقبرة ليمتلئ بالماء معظم الوقت كلما هطلت الأمطار فلا يستطيع أحد الدخول ومن يدخل لا يستطيع الخروج .

لازالت تخفي شئ ولا تود أن تخبر به، ولم يتوقف المطر عن الهطول وزداد ارتفاع الماء في البئر وزحف داخل الممر مثل ثعبان كاسر وأغرقه وصعدت الفتيات على درجات السلم للهرب منه شيئا فشيئا.

****

مدير الأمن يخشى من وصول الخبر للصحافة ويبحث في الوادي مع حراس المنطقة ليل نهار للعثور على الفتيات قبل انتشار الخبر، ففتح وزير السياحة التلفاز ليجد المراسلون من الوادي بكل اللغات ينقلون خبر اختفاء ثلاث فتيات من وادي الملوك في ظروف غامضة! أحد المراسلين ينقل من جانب أحد المقابر قائلا: هل هى لعنة الفراعنة استيقظت من جديد لتخطف الناس إحياء هذه المرة بعد أن كانت تتسبب في وفاتهم؟ !

مراسل أخر من بين الجبال يقول: أحد الفتيات المتغيبات صعيدية فهل يكون للأمر علاقة بعادات الصعيد القاسية على الفتيات جعلها تهرب وكل ما يحدث هو مجرد شائعات لإخفاء القصة الحقيقة عنا؟ ومذيع أحد البرامج يناقش أحد الصحفيين قائلا: إذن أحد الفتيات المتغيبات هى طالبة في كلية الآثار ولذا تتوقع أنها تقوم بعمليات تنقيب غير رسمية بمساعدة شقيقها الذي يعمل في نفس المنطقة الاثرية؟

فنظر الصحفي للكاميرا مباشرة وحدق بها وقال: نعم هذا الكلام على مسئوليتي وانا مسئول عن كل كلمة ذكرتها في هذا اللقاء .

ثم تضيف مذيعة أخرى على قناة أخرى قائلة: التحقيقات التي أجريت حول اختفاء الفتيات أثبتت أنهن تغيبن في حوالي الساعة الثالثة فجرًا من منطقة وادي الملوك الأثرية لأنهن وأقاربهم كانوا في رحلة تخييم، فكيف سمح لهؤلاء الشباب بالتخييم في منطقة أثرية هامة كوادي الملوك؟ ثم عرضت المذيعة بعض الفيديوهات التي نشرها عاطي وأحمد وجورج ونيس لهم في تلك الليلة على حساباتهم قبل الاختفاء بوقت قليل.
ثم أكملت: وقد اصبحنا أضحوكة العالم والشائعات تزداد حول لعنة الفراعنة واختفاء البشر احياء والاهمال وهذه ضربة موجعة لقطاع السياحة في مصر، أين وزير السياحة والآثار من كل ذلك؟

اغلق الوزير التلفاز من مكتبه هذه المرة وهو ينصب بكامل غضبه على مدير الأمن وعلى المسؤول في الوادي واتصل الجميع على المسؤول عن حراسة المنطقة والضابط لم يستطيع أن ينبذ بكلمة على عاطي ابن الوزير من خيم في الوادي وتسبب في كل ذلك، وزراة الآثار على وشك الاشتباك مع وزارة الداخلية بسبب هذه الحادثة. فألقى

المسؤول التهمة كاملة على عاتق بشندي شقيق آسيا، وادعى أن بشندي هو من سمح لشقيقته وأصدقائها بالتخييم هناك وفعل كل ذلك بدون علمه.

من له ظهر لا يضرب على بطنه، هذا مثل شهير وبشندي ليس له ظهر يحميه فضرب على وجهه وبطنه وأصبح المذنب الاول أمام الجميع . ثلاثة أيام ولا شئ جديد لم يغادر عاطي ووالده وجورج وأحمد ووالد نيس الوادي، ظلوا في غرفة الحراسة، لمتابعة البحث عن الفتيات بين جبال الوادي. من خارج الغرفة الكلب لا زال ينبح حتى ذبح صوته وهو مربوط، فقال والد أحمد: سأقتل ذلك الكلب أما يكفي ما يحدث، لقد أصابني نباحه بالصداع .

نبح صوت الكلب في عقل عاطي فنهض قال: أنه يحاول اخبارنا بشئ فهو ينبح منذ اختفاء ريناي وفي تلك الليلة نبح من منتصف الليل حتى الصباح بشكل ملفت ولم يصمت. وبسرعة فك وثاق الكلب الذي ركض بأقصى سرعة حتى وصل للصخرة، وأخذ يدور حولها وهو ينبح.

أحضر العمال الحبال وربطوا الصخرة وشدوا بكامل قوتهم بأمر من المسؤولين. حتى تزحزحت الصخرة وازيلت من فوق البئر. وقف الجميع حول البئر. يحدقون لانعكاس وجوههم في ماء البئر الذي ملئت به حتى اقترب من سطح الأرض. وفي انعكاس الماء حدج والد نيس عاطي بعيونه وقال مستهزأ: كان يخبرنا عن ماء متعكر تجمع في بئر عفنة. واختفى انعكاسه من الماء لأنه رحل وترك نظرات الخجل لعاطي الذي يفرك في يديه من الغضب ثم دفع الكلب بقدمه بغضب وهو يقول: كلب ملعون، جعلتني أضحوكة أمام الجميع. وسار الجميع بعيدًا عن البئر بينما ينظر لها شقيق آسيا وهو يقول في سره: لم يكن هناك بئر في هذه المنطقة !

بالأسفل أزاحت آسيا آخر صخرة تغلق المدخل الثالث بعد أن تنقلوا ومروا في ثلاث مداخل، كل مدخل به مساحة فارغة وسقف منخفض وفي نهايته سلم يصعد للأعلى عدة درجات، وكلما تقدموا يتسع المدخل في المساحة ولكن يزداد ايضا الخوف في النفوس . دلفت بعد المدخل الثالث إلى غرفة مليئة بالنقوش والكتابات الهيروغليفية، جميع النقوش مكتوبة باللون الأسود ولا يخلو سطر واحد منها من نقش لشخص جالس وأمامه كائن خرافي.
تستطيع أن تلاحظ بسهوله أنه مزيج من الشرير ست وانوبيس حارس الجبانة والموتى في مصر القديمة، يليه نقش لتمثال، ذلك التمثال رأته في المتحف المصري من قبل إنه التمثال المسحور. تناولت ريناي قطعة من الطعام وهى تقول: لقد بدأ الطعام ينفذ، آسيا متى نعود للبئر لنخرج ؟ لم تجيب آسيا بل ظلت تطالع النقوش على الجدران فقالت نيس: أي بئر ! الماء الذي ملأ البئر لن يجف قبل خمسة عشر يوما على الأقل . ثم نظرت لآسيا وقالت: عليك إيجاد مخرج آخر لنا من تلك البئر الملعونة .
كلما قالت ملعونة تشعر آسيا برجفة في قلبها، فرمقتها بنظرة تهديد وقالت: كفي عن التذمر من المقبرة لعلنا نخرج منها بخير .

نيس بتكبر: لن أكف وما الذي سيحدث اسوء من ذلك؟ وجودنا في مقبرة قذرة، واجيبِ عن سؤالي كيف سنخرج من هنا؟ بدأت آسيا تتحدث وهى تنظر للنقوش التي على الحائط وتقول: لم يكن ذلك المدخل هو المدخل الرئيسي لهذه المقبرة، ولا أعلم لماذا صنعه صاحب المقبرة، ولذا سنبحث عن المدخل الحقيقي لنحاول الخروج منه، وأرجوكما توخيا الحذر في كل لحظة.

ردت ريناي وهى تلف يدها حول ركبتيها وتقول بخوف: كيف سنجتاز مقبرة بمفردنا؟ إلا تري تلك المداخل كم هى مخيفة؟ ارجوكي ابحثي عن وسيلة أخرى، أو لنبقى هنا حتى يجف الماء ونعود. جلست آسيا بجانبها وهى تضع يدها على كتفها برفق وقالت: البئر لن تجف قبل اسبوعين او اكثر والصخرة اغلقتها من الاعلى والطعام بدأ ينفذ لو مكثنا هنا سنموت، ما من وسيلة آخرى غير عبور المقبرة ولا تخافي كل ما عليك فعله هو أن تنوي عبور المقبرة كضيفة أخطأت طريقها، هل تفهمي ما أقول؟ ضيفة أخطأت طريقها رغما عنها. قالتها آسيا وهى تنظر للنقوش وانصبت عيونها على نقش الكائن الخرافي على الجدار، عيونها تستعطف النقش وكلماتها تؤكد ذلك قائلة: اننا ضيوف أخطأنا الطريق رغما عنا. ردت نيس بتذمر: تتحدثين مع من؟ ولمن هذه المقبرة اللعينة؟

لمذتها آسيا بلسانها قائلة: لا تسألي عن ما لا يعنيكِ، وهيا انتهي من تناول طعامك سيكون علينا محاولة الخروج من المقبرة قبل أن ينفذ الطعام والماء والبطاريات وكل شئ. ردد نيس سؤالها بضجر: مقبرة من هذه؟ مقبرة من؟ لمن المقبرة؟

والإجابة تتردد في عقل آسيا ولا تنطق بها، لقد قرأت على الحائط أنها مقبرة ساحر . ساحر متجبر استطاع أن يضع مقبرته وسط مقابر الملوك، هل كان يمتلك تلك القدرة الخارقة على صنع المقبرة كاملة من دون أن يراه أحد؟ أو كان يخشاه الملك فتركه ينال شرف الدفن بين مقابرهم؟ وسرقت جميع مقابرهم وهو لا، ونحن سقطنا في مقبرته، هل ما حدث حقا صدفة؟ أو شئ آخر لو اكتشفناه سيكون من سوء حظنا؟

****

الفصل الرابع

ساحر!

ساحر!

يا أبي السحرة مجرد دجالين يسرقون أموال الناس ويبيعون لهم الوهم لن نذهب للسحرة .

قالها بشندي بنبرة حاده وهو يجلس بجانب والده على الكنبة، فوقف والده وهو يمشط شاربه الكث وقال: وآسيا ألا تسمع ما قد قيل عنها منذ أن اختفت، الناس يخوضون في عرضها كل يوم .

زفر بشندي وقال: اختفت معها بنت وزير وبنت رجل أعمال وسيستمروا في البحث حتى يعثروا عليهن ومعهما آسيا.

فبكت والدته الجالسه بالقرب منها وقالت : لقد فتشوا الوادي شبرا شبرا حتى الصخور سألوها ورفعوها وبحثوا أسفلها ولم يجدوا آسيا أو غيرها. وتعالى صوتها بالبكاء جهرًا وهى تولول وتلطم خدها تارة وتضرب على ركبتيها تارة أخرى وقالت: آسيا يا بتي، يا ترى أنتي حية ولا ميتة؟ فنهرها زوجها ونظر لبشندي وقال: أنا ذاهب للساحر شئت أم أبيت.

****

ذهب للساحر ويحمل معه أحد طرح آسيا(حجابها) ليستدل منه الساحر على مكانها، وحكى له الرجل ما حدث واعطى الساحر الطرحة. أمسك الساحر بالطرحة بيديه واغمض عيونه وهو يضع الكثير من البخور في النار وظل يتمتم بتعاويذ وهو يدور بنصف جسده العلوي نصف حركات دائرية وهو جالس. توقف عن الدوران فجأة وفتح عيونه بشكل غريب، عيناه حمراوتان كالدم ويغطيها رموش كثيفة متجعدة وقال: أنها ... أنها ...

فقال الرجل: اكمل أنها ماذا؟ رد الساحر برهبة: انها بداخل مكان خطير لا أستطيع أن أخبر عنه أي شيء، لا أستطيع سيؤذيني الخدم والحراس في العالم السفلي . نهض الرجل وأمسك بيد الساحر وهو وقال: أرجوك أخبرني، أنتي لا نعلم عنها شيء والناس تخوض في عِرضها ولا اتحمل ذلك، كلامهم عن ابنتي كطعنات الخناجر. فلم يجيب الساحر فأكمل الرجل: سأدفع لك كل ما تريد ولكن أخبرني أين هى؟ لقد فقدت في وادي الملوك هى وفتاتان. فقال الساحر بخبث: معها فتاتان؟ فأجاب الرجل: أجل معها فتاتان. صمت الساحر لحظة ثم تابع: تعلم أنها في وادي الملوك فلماذا جئت لتسألني عنها؟

ردت الرجل بخيبة: أنا لا أعلم أين هى في وادي الملوك فهو كبير وبحث الجميع ولم يجدها أحد هى ومن معها .
رد الساحر وهو ينهض من مقعده: أعيدها لك بعد أن تنفذ ما اطلب منك ولا تسألني أين هى بالتحديد؟ ولا تبحث عنها أو تسألها لو عادت.

اوميء الرجل برأسه وقال بلهفة: سأفعل ما تريد فقط أعيدها لي.

ابتسم الساحر بخبث وحدج لهيب النار أمامه بدهاء.

****

عاد الرجل لمنزله فاستولى على مردان زوجته التي ورثته عند والدتها وأعطاه للساحر ثم أخذ معزة سوداء من الحظيرة و كمم فمها وربط أقدامها وظل يترقب قرب مغيب الشمس وتسلل بها وهو يحملها على كتفيه إلى الوادي قرب منتصف الليل. وصل حيث وصف له الساحر وكان يعلم المكان مسبقًا أثناء بحثهم مع الشرطة عن الفتيات، تسلق الصخرة بالمعزة ثم ذبحها فوق صخرة البئر وصفي دماءها حتى سالت فخضبت أعلى الصخرة وسالت بعض قطرات دماءها لماء البئر وترك بأسها فوق الصخرة.

وفي نفس اللحظة الساحر يتلو تعاويذ وطلاسم سحرية غامضة ويحرق البخور حتى زاد لهيب النار أمامه فقال وهو يطالع النار: لكل شئ ثمن، لكل شئ ثمن، لنرى من منهن ستكون ثمن خروجهما من المقبرة .

وتمام في سره قائلًا: من ستنجو من الحارس لن تنجو من سيده المتجبر.

****

في نفس اللحظة شعرت الثلاث فتيات بلفحة من الهواء الساخن قد لفحت وجوههن وهن نائمات في المقبرة ريناي نائمة تستند بالحقائب وآسيا مستنده بظهرها على الجدار وبالقرب منها نيس وامامهم البطارية مضيئة، فتحت آسيا عيونها بتشوش من السخونيه التي شعرت بها وتحسست وجهها ثم اغلقتها، فرأت ظل أسود مخيف يقف أمامها.
فزعت وفتحت عيونها فلم ترى شئ، أخرجت زفير طويل مضطرب وبلعت ريقها وتعوذت بالله من الشيطان وعادت للنوم وهى تمسك بيد ريناي، ريناي تسمع هاجس يقول لها: تعالي معي وسأجعلك ملكتي للأبد. نيس تسمع نفس الهاجس يقول: لدي غرفة مليئة بالذهب لكِ وحدك، لكِ وحدك، ستكونين ملكة الذهب.
صرخت آسيا وهى تنهض من نومها وتسرع بإيقاظ نيس وريناي وتضرب على وجوههن قائلة: ريناي استيقظي، نيس استيقظي، استيقظي . ثم علا صوتها وصاحت بهما: استيقظا وإلا لن تخرجا من هذه المقبرة، لن تخرجا منها أبدًا. فزعت هذه وتلك واستيقظت ريناي ونيس وهى تصيح بها: ايقظتني من حلم جميل بعد كل الكوابيس التي أراها منذ سقوطي في هذه المقبرة اللعينة.

نهضت آسيا وأغلقت فمها بيدها، ثم وقفت أمامها وفتحت يديها وأشارت لهما وهى تنظر في عيونهما مباشرة ومن دون أن تفتح شفتيها أو حتى تتحرك ولو حركة بسيطة، فسمعت ريناي ونيس صوتها تتحدث مع عقولهم قائلة: أعلم أنكما الأن تستطيعان سماعي بدون أن انطق بلساني. شهقت ريناي ونيس في نفس اللحظة وقالت نيس: كيف... فأغلقت آسيا فمها وهى تشير لها بإصبع السبابة بعدم التحدث ثم وقفت وهى تكمل بنفس الطريقة من دون أن تنطق: اننا في مقبرة ساحر من اشرار السحرة أصحاب السحر الأسود الذي يستطيع تسخير الجن لحراسة مقبرته، وقد حمى مقبرته من السرقة ألاف السنيين بل وأغلق عيون المستكشفين عنها .
وقد أستيقظ أو أوقظ أحدهم حارس المقبرة وهو الآن يروادنا ويغرينا ليسيطر على عقولنا، لو سيطر على أي واحدة منا سيقتلها وسيخرج روحها لتكون عبدة حارسة للمقبرة معه للابد وتتحول روحها إلى شبح. إلا ترون أن بسبب سحره اتحدث لكما وتسمعونني بدون أن انطق؟

نظرت لها نيس بغرابة وهى تجيب من دون أن تنطق: كيف نسمعك بدون أن تتحدثي؟

ردت آسيا وهى تطالع عيونها بتركيز: لأن أشعل في عقولنا التخاطر ليستطيع الحديث معنا، هو لا يتحدث لغتنا المصرية بل يتحدث أحد لغات العالم القديم لذا فهو يتحدث لكما بالتخاطر لتفهما مروادته لكما، هو يسمع افكاركما الأن ولا يسمعني فقد حجبت أفكاري عنه لأنني قرأت معوذات السحر القديمة التي قرأتها في أحد الكتب النادرة عند دخولي المقبرة .
صمتت الفتاتان للحظه تستوعبان ما قالت فتابعت آسيا وهى تحدجهما بنظرات تحذير: احذركما من الاستماع له ولو أشار لكما بقراءة أي شئ لا تقرئي أنها تعاويذ سحر أسود، سحر أسود. ثم نطقت قائلة: هل كل شئ واضح؟ لقد تحدثت لكما بالتخاطر لتثقون فيما اقول، لا تسمحا له بأن يتخاطر معكما مرة ثانية فقد تكون الأخيرة إنه شبح.

انحدرت الدموع من عيون ريناي من الخوف وامسكت ب آسيا وهى ترتعش وقالت تستعطفها: أخرجيني من المقبرة أرجوكي أخرجيني منها. ونظرت حولها وهى ترتجف. فأمسكت آسيا بيدها برفق وهى تحاول إخفاء خوفها وقالت: سنخرج، سنخرج بإذن الله. وقفت نيس بدون ذرة خوف وطالعتهما بعيونها الزرقاء والكحل الأسود

قد رسم خطين أسفل عيونها ولون عيونها تغير وقالت: لا شئ يخيف انها مقبرة جميلة مليئة بالكنوز. آسيا ورياني لا يلاحظان عيونها بوضوح بسبب الظلام.

****

تدور آسيا وهى تشعل البطارية وتبحث في المقبرة هناك العديد من الممرات، المداخل، غرف كثيرة ليس لها نهاية، سلالم تصعد للأعلى واخرى تهبط للأسفل وكأنها متاهة أمسكت برأسها بضيق وهى تتساءل بحيرة وعيونها تدور وسط رأسها، أي الطرق يؤدي لمدخل المقبرة؟ أي الطرق تستطيع الخروج منه؟ سمعت نيس وهى تشير بظرف أظافرها التي تشبه مخالب القطة قائلة: هذا الممر يؤدي لمدخل المقبرة الحقيقي . مرة ثانية يظهر على وجه آسيا أنها تود إخفاء شئ ما، فلم ترد فقالت نيس وهى تقف أمامها وتحدق في وجهها: لماذا لا تجيبِ أيتها العالمة؟ هذا المدخل يؤدي للمدخل الحقيقي للمقبرة أليس كذلك؟. رفعت آسيا عيونها من على الجدار وحدجتها بنظرة اتهام قائلة: كيف علمتِ أنتِ أنه يؤدي للمدخل الحقيقي للمقبرة؟ فنظرت لها رياني بشك وهى تكرر سؤالها قائلة: حقا كيف علمتِ؟ ادارت نيس وجهها عنهما ثم التفتت لهما وعيونها كعيون القطة وقالت: انظرا للنقوش التي على الجدار أنها تشير لذلك.

وسارت خطوات واسعه بثقة وكأنها تفتخر بخطواتها على نور البطارية والتصقت بالجدار وهى تشير بإصبعها على النقوش التي باللون الأسود تمثل حمل مومياء والسير بها وأمامها انوبيس وخلفها ست وتستمر النقوش إلى أن تصل لباب غرفة توجد في نهاية أحد الممرات المظلمة. شعرت رياني بالخوف وهى تنظر للممر المظلم وقالت نيس: النقوش جاءت من هذا الاتجاه، وأشارت للممر ثم أكملت: إذن فهو مدخل المقبرة الحقيقي.
نظرت رياني ل آسيا التي تنظر ل نيس بنظرات الشك والاتهام ثم قالت: المدخل الحقيقي هو المدخل الوحيد الذي لن نسلكه، عند بدايته بالقرب من سطح الأرض عنق المقبرة سيكون طوله ما يقرب من ستين مترا يقومون بإغلاقها بالصخور والأتربة بعد الدفن وبعد ذلك باب المقبرة سيغلق بإحكام، ولن نستطيع فتحه لأنهم يغلقونه من الخارج قبل البدء في دفن عنق المقبرة ونحن بالداخل ولو فتحناه ستنهال علينا الصخور والأتربة التي في المدخل فتقتلنا لانه عميق مثل البئر الذي سقطنا به. صفقت نيس بيديها ببطء وهى تسير و تدور حول آسيا وتبتسم بدهاء قائلة: ها قد ظهرت الحقيقة، كنتِ تعلمين أن هذا هو المدخل الحقيقي ولم تخبرينا وتتظاهرين انك تبحثين عن مدخل الخروج. نزعت آسيا يد نيس من فوق كتفها وهى تلمسها وهى تدور حولها وقالت بغضب: ماذا تقصدين؟ فنظرت نيس ل رياني بمكر وقالت: أنها تضللنا في المقبرة لنظل هنا ونسجن بها ونموت وتخرج هى بمفردها فتستولي على الكنوز أولا فتصبح ثرية وبعد مضي بعض الوقت تعلن عن اكتشاف المقبرة فتصبح أشهر مكتشفة في عصرنا الحالي. تتحدث نيس فتنفث السم في أذن رياني لأنها لا تستطيع أن تسيطر على آسيا، وحول الثلاثة شبح مومياء أسود يتحرك بين الثلاثة ويزداد قوة وبشاعة.
صاحت آسيا قائلة: نيس إنه بدأ يسيطر عليكِ شبح حارس المقبرة بدأ يسيطر عليك لا تستمعي له، لا أنه كالشيطان سيوقع بكِ. الاثنتان تتشاجران ورياني تمسك برأسها بينهما حتى صاحت بأعلى صوتها: توقفا، توقفا.

تصرخ بينهما وهى تسمع صوت ثالث يتحدث في أذنها ولا ترى من الذي يتحدث تنظر ل آسيا، لا ليس صوتها، تنظر ل نيس لا ليس صوتها، ويحاول الشبح الدوران حولها لسيطر عليها فزاد صراخها وهوت على الأرض مغشى عليها وسط نظرات فزع آسيا، فتوقفتا عن الشجار.

****

في مكان أخر بمنطقة أثرية أخرى بدهشور تستمر الحفريات بعيدًا عن الكاميرات والتلفاز المشغول بغياب بنت الوزير وصديقتها وسجن شقيق آسيا ووالده بتهمة إنكار معرفة مكان آسيا المتهمة الوحيدة التي ثبتت عليها كل التهم في غيابها.
يحفر العمال ويترصد الجميع بشوق ويمسكون بأدواتهم هنا وهناك، المنطقة كوادي النمل، الكثير والكثير من العمال متناثرون في كل مكان، ومن بين الرمال الصفراء بدأت تظهر لوحة حجرية سوداء . تابع الرجال الحفر حول اللوحة بحماس وظهرت اللوحة السوداء المنقوشة بهدوء شيئا فشيئا وحولها التف الجميع ونظروا لها بإنبهار.
اللوحة منقوش عليها من الأعلى رمز لتمثال مسحور وأسفله من جهة اليمين نقش ل أنوبيس، ومن جهة اليسار نقش ل ست الشرير.

****

وفي ظلام المقبرة الواسعة المخيفة بقدر اتساعها تضل الفتيات وتتوه آسيا ورينـاي وتتجرح أقدامهن من السير بين المداخل والممرات والغرف والسلالم التي تهبط وتصعد ولا يصلون لشئ.

وصلوا بعد وقت طويل من المتابعة في السير والبحث إلى ممر ما، دخلن به على حذر، ونظرن بداخله في صمت، يوجد تماثيل حجرية على الجانب الأيمن وتماثيل حجرية على الجانب الأيسر وكلا التماثيل التي على الجانبين تشير للأسفل، نظرت آسيا ورينـاي للتماثيل ثم نظرن حيث تشير فوجدن أسفل أقدامهم بحيرة من الجماجم التي تعوم في بحر من الدماء.

صرخت كلتاهما وهربتا إلى أى مكان أخر وهما ترتعشان من الخوف، وصلن بعد فترة إلى مدخل أخر لا يوجد به تماثيل أو نقوش على الحائط يستدلون منها على شئ سارت آسيا خطوات قليلة عندما شعرت أن شئ ما يتحرك أسفل قدمها. نظرت وهى تضئ بالكشاف على الأرض فإذ بها مليئة بثعابين وعقارب لا حصر لها. صرختا وعادتا على ادبارها تهربان إلى أي مكان. وهذا طريق نهايته مسدوده وأخر مثله وتلك غرفة خاوية مغلقة لا تؤدي إلى أي شئ، ثم شاهدوا من بعيد باب غرفة مفتوحة وتبدو كبيرة ومتسعه وبها ضوء. سارت إليها آسيا بتردد وخلفها رينـاي ونيس، غرفة كبيرة متسعة طويلة للغاية، على الجدران نقوش لنساء صارخات من دون سبب وفي منتصف الغرفة مومياوات لنساء أيضًا صارخات وبدون توابيت.

المومياوات مرصوصة بشكل غريب، حيث جميع الرؤوس في الوسط والاقدام على الجوانب، صفين كبيرين طويلين من المومياوات إلى نهاية الغرفة في الجانب الثاني. تداخل صوت صراخ الفتيات من الفزعة وظل الثلاثة يركضن ويصرخن ويهربن بعيدًا عن تلك الغرفة، غرفة المومياوات، ويبحثون وينسون ويعودون فيجدون أنفسهن في نفس المكان، أمام نفس الغرفة، غرفة المومياوات.

ونيس خلفهما بدون خوف كمن يراقب فقط وهو غير قلق. لم تعد رينـاي أو آسيا قادرتان على الجري فجلستا في نفس المكان وقالت آسيا بخيبة: لقد دخلنا لمتاهة المقبرة، هذه متاهة ولا أعلم كيف سنخرج من المتاهة حتى نخرج من المقبرة. فتحت رينـاي فمها وهى ترفع زجاجة الماء للأعلى ربما بقي بها بعض قطرات الماء التي لا تراها. شفتيها تشققت من الجوع والعطش وشحب لو وجه آسيا الجميل ونفذت بطارية الكشاف وانطفئ أخر شعاع نور في عيونهن.

واسندت رينـاي رأسها على كتف آسيا بيأس وآسيا تفكر في المومياوات لماذا جميعها من النساء؟وصاحب المقبرة رجل!

ولماذا المومياوات بدون توابيت؟ هذا مخالف لعادات الدفن عند المصريين حتى لو كان ساحر! ولماذا الصراخ والفزع على وجوههن ومرصوصة بهذا الشكل الغريب؟

****

في المنطقة الأثرية بدهشور أخرج العمال اللوحة بأكملها من الرمال ونظروا لها، شعر الجميع بلفحة هواء ساخن قد لفحت وجوههم ولسعت العظام. تعجب الأعمال ونظروا إلى أنفسهم وتحسسوا أجسادهم ووجوههم وقال أحدهم: لماذا شعرت بهواء ساخن قد صفع وجهي ونحن في الشتاء؟ لم يجيب أحد ولكن تأكد الجميع بما شعر من سؤال العامل ونظروا للوحة السوداء، النقوش متداخلة بشكل غريب، تشعر أن هذا النقش يسحب نقش أخر ويمسك به، الجميع ملتف حول اللوحة كالوافقين أمام لغز.

فقال أحدهم: وحده مينا يستطيع قراءة وترجمة ما على هذه اللوحة الغريبة، أظن أنها تخص السحر في مصر القديمة لذا فهى غامضة.

جاء مينا مسرعا بوجه متهلل وحماس يرتدي نظارة ويضع شال حول رقبته من البرد وجلس أمام اللوحة وتربع في جلسته، وبدأ ينظر للوحة بتركيز وتظهر في نظرات عيونه علامات التعجب والاستفهام، يقوص حاجبيه بشكل غريب

ويقترب من اللوحة وهو يثبت النظارة فوق عيونه، ثم يخلع نظارته ويمسحها بالشال ويرتديها مرة ثانية.
فقال أحدهم بفضول: ماذا كتب على هذه اللوحة؟ هيا أخبرنا . هز رأسه بجبهته المليئة بالخطوط وهو يضم حواجبه وقال: أنها تعود لعصر البطالمة تحديدًا عصر الملكة كليوباترا ولكنها تحكي أسطورة سحرية أقدم من ذلك الوقت بحوالي ألف عام. ثم صمت فغمزه أحدهم في كتفه يستعجله قائلًا: هيا لا تتوقف أقرأ ما كتب عليها.

بدأ مينا يقرأ وهو خائف ويتلعثم في الحديث ولا يدري لماذا هذا الشعور وقال:.....

****

الفصل الخامس

لم ينطق ما قرأه على اللوحة بل زاد تعرق جبهته فمسح حبات العرق عن وجهه لطرا كمه، فحدجه العمال والفريق الملتف حوله بنظرات حادة لصمته وعدم قراءته ما هو مكتوب بصوت مرتفع فقال وهو يتلعثم في الحديث ويشير عليها بأصبع السبابة ويرتعش قليلًا: اسطورة سحرية غريبة أو شئ من هذا القبيل كتعاويذ السحر القديمة. ثم حاول الابتسام وقال: لو قرأت بصوت مرتفع من المفترض أن تحدث أشياء غريبة.

ضحك كل من حوله وهم يقولون: اقرأ، اقرأ وسنرى هل سيحدث شئ أم لا؟

نظر لهم ثم طالع اللوحة بتوتر وبدأ يقرأ بالهيروغليفي بصوت عالي وهو يتعرق ويخفي الخوف الذي يشعر به ثم يترجم ما قرأ وقال: في أرض الاموات حيث يرقد الملوك بين الذهب والامجاد التي صنعوها في حياتهم، لا أحد هناك غير الملوك ولكن تقول اسطورة السحرة أن في باطن هذه الأرض بين مقابر الملوك يرقد جسد ساحر هزم بسحره وطلاسمه وتعاوذيه كل الأشباح، حتى ساروا عبيد وخدم له يسخرهم كما يريد، مات ودفن وظلت روحة الخبيثة التي نُسخت ونقلت إلى أكثر الأشباح بشاعة لتسخر بقية الأشباح لتحمي مقبرته المليئة بالكنوز، وكل مائة عام تستيقظ الأشباح من المقبرة وتخرج بين الأحياء تختار له من بين الفتيات فتاتان و تراودهما وتغريهما ثم تقتلهما وتحول جسدهما لموميا‌ء وروحيهما إلى أشباح. الاولى تكون عروس له في العالم السفلي والثانية تكون لحارسه وتصبح حارسة للمقبرة لمائة عام قادمة. شعر العمال وعلماء الآثار بخوف يحيط بهم والجو يظلم بضباب قادم من بعيد، صمت الجميع ولكن أحدهم تظاهر بعدم الخوف وقال: أكمل، أكمل أنها قصة جميلة. فأكمل مينا وهو يبلع ريقه: روح الساحر وشبحه ستطارد فتاة تنقلت بين المقابر كثيرًا وعشقت عيونها الأجداد القدماء.

****

شعرت آسيا بروح شبح منزعج أو غاضب يتحرك في المقبرة هنا وهناك. ترى النقش يتحرك على الجدار في هذا الجانب ثم تراه على الجانب الثاني فتتشتت هنا وهناك فتعوذت بالله وأمسك بيد ريناي. فرأت من بعيد خيال ملك مصري جميل قادم من بعيد. فقالت آسيا وهى تمد يدها وتمسك بذراع ريناي وترتعش:
ريناي هل ترين ذلك الملك القادم من بعيد؟ نظرت ريناي ببلاهة حولهاوقالت: أي ملك؟ من أين يأتي؟ أين هو؟

بلعت آسيا ريقها وارتجف جسدها وقالت: أنتِ لا ترينه إذن!

وبالقرب منهما ترمقها نيس بعيون المكر وهى تضحك.

فقرأ مينا: سيفتح بسحره الباب الأول.

سمعت آسيا وريناي ونيس صوت يصدر من أحد الزوايا، وفُتح باب غرفة بجانب غرفة المومياوات.
مالت آسيا وريناي برأسيهما تنظران للغرفة بفضول وقلق.

غرفة مليئة بالكنوز، تماثيل مذهبة مصطفه على الجانبين وأمام كل تمثال صندوق مفتوح ومليئ بالذهب، قلائد، أساور، صدريات، خواتم، أقراط، برديات مذهبة من الخارج وملفوفة. سحر الذهب من جماله عيون الثلاثة ويلمع في الغرفة التي لا يعرفون من اين جاء كل هذا التوهج والضوء من داخلها! وبدأت ريناي وآسيا تقاوم تلك الرغبة التي تحبها للذهب. نهضت نيس وسارت كالمسحورة في اتجاه الغرفة وآسيا تنظر لها تحاول أن تنطق وتقول:لا. فتشعر أن أحد ما يدور حولها فيشتت تركيزها، فتشيح بوجهها عنه، فيظهر لها

حيث أشاحت بوجهها وهو غاضب ويزداد غضبا.صرخت بداخل عقلها وهو تمسك رأسها وتعتصرها بين كفيها: لا، لا يا نيس لا تذهبي، لا تذهبي .

ضحكت نيس بسخريه ونظرت لها بتعالي ودخلت إلى غرفة الكنوز، سارت بين التماثيل وهى تتمخطر ثم مدت يدها نحو أحد الصناديق المفتوحة وما أن لامست الذهب حتى تحولت أظافرها لمخالب كمخالب الذئب، وطال شعرها حتى وصل كعب قدمها وتحول للون الأبيض وبرزت الانياب من أسفل شفتيها العليا وطالت وتجاوزت شفتها السفلى وتحولت عيونها كعيون سخمت، أنثى الأسد في مصر القديمة، وتطالع الذهب بطمع.

ثم أكمل مينا: ثم يخرج ال.

عيون آسيا ورينـاي تترقبان نيس التي دخلت الغرفة ولم تخرج ولا تتجرأن على الذهاب خلفها، فسمعتا صوت يصدر من الجانب الثاني للمقبرة شتتهما عن الغرفة. وفتح باب غرفة دفن الساحر وفي نهايتها التابوت الذهبي حيث يرقد الساحر بداخله. ثم خرج من الغرفة ملك مصري بتاجه الذهبي وملابسه البيضاء ويركب عربته الحربية الذهبية ويجرها حصانان ذهبيان.

وجاء يدور حول آسيا قائلًا: آسيت آسيت آسيت تعالي معي سأجلعك ملكة كِـمــت(مصر) الذهبية التي تعشقيها.

فرأت آسيا نفسها ملكة متوجة جالسة على العرش في قصر كبير من الذهب وحولها الحراس والخدم وملك وسيم يجلس بجانبها، وهزت رأسها بقوة وهى على العرش ونظرت له بجانبها وقالت بقوة: لا، لا أذهب للجحيم، فتحولت عيونه إلى اللون الأحمر من الغضب وتحول إلى مومياء وهجم عليها. فتحت عيونها بفزع فوجدت نفسها في المقبرة وهو يدور حولها بالعربة فصاحت بصوت مرتفع تردد المعوذات السحرية معوذات عظيمة السحر إيزة وانحنت وامسكت بصخرة جيرية بيضاء واخذت ترسم على الأرض حولها هى ورينـاي وترسم إيزة بإجنحتها وتصرخ: لتطرد روحك روحه، ليطرد حراسك حراسه. وهو يزيد في دورانه حولها ويمد يده لينالها ولكنها تصيح به بالمعوذات فتحول وجهه فجأة من ملك إلى شبح أسود وهو يصرخ بها: تعالي تعالي..
وهى ترد وهى تحتضن رينـاي التي ترتعش مما يحدث: إذهب إلى الجحيم إلى الجحيم عد إلى قبرك وتابوتك.

فتحول إلى خيال غاضب يسحب من الخلف مثل الرياح وهو يدخل غرفة الدفن.

فقرأ مينا: ويتحقق آخر جزء في الأسطورة السحرية بفتح باب ال.... سمعت آسيا ورينـاي صوت صراخ من كل مكان في المقبرة، من كل مكان يصرخون وصوتهم كالهاجس وصدى الصوت يقول: لا لن نتركها، لن نتركها، هى لساحرنا، هي لسيدنا، هى له . واهتزت الأرض تحت أقدامهن بصخورها الصغيرة والرمال فوقها وتفتح كل ابواب الغرف وتخرج منها مومياوات من كل جانب، قطط محنطة تخرج تجر الكتان الملفوف به وكلاب كأنوبيس الأسود ولكنها مومياوات، رجال، ونساء صارخات مبعثر شعرهن وتظهر عظامهن من اللفائف التي تغطي أجسادهن.

فزعت رينـاي وصرخت قائلة: هل ترينهم هل ترينهم؟ وهم يزحفون ويتجهون لهما من كل جانب حتى اقتربوا منهما وهما خائفتان في الوسط ولا مكان للهروب أو الاختباء والفنانات تمسكان ببعضهما وتتلاحمان وآسيا تقول لرينـاي: لن يستطيعوا مهاجمتنا لا تخافي . وما أن دخل آخر ظل لخيال الساحر إلى غرفة الدفن حتى فتح باب اخر مضئ بأشعة الشمس. شهقت آسيا بفرح: إنه باب الخروج، إ باب الخروج. وتخلصت من حقيبتها التي ترتديها على أكتافها ومن فردة حذائها التي تنتعلها وأمسكت برينـاي بيمينها وركضت وهى تصيح: نيس نيس تعالي سنهرب، فتح باب الخروج.

اقتربت من الباب وهى تركض ونظرت للخلف تنادي على نيس فتعثرت قدمها بحفرة صغيرة وغرست بها قدمها، فسقطت على الأرض وانكبت بوجهها على الأرض بعنف. وقفت رينـاي تحاول سحبها ومساعدتها على النهوض وآسيا تصيح بها وهى تحاول تخليص نفسها وقدمها : أهربي قبل أن يغلق الباب الساحر يريدني انقذي نفسك. ورينـاي تتجاهل تحذيرها وتمسك بيدها وتسحبها بكل قوتها.

وبشق الأنفاس أخرجت قدمها المليئة بالجروح والدماء والباب لازال مفتوح. تابعت الجري نحو الباب ثم وقفتا فجأة وهما مفزوعتان وتحدقان في باب الخروج.

أنه هناك أمام باب الخروج يقف من الداخل ينتظرهم. شبح مخيف رابط بيديه وقدميه ومتأهب كمن يقول: أنا هنا أنتظركم. تجمدت آسيا وخلفها ريناي تخفي حتى وجهها منه خلف كتف آسيا فقالت آسيا: لا أنه لا يستطيع إذائنا مثل البقية نحن لم نمس الذهب هو فقط يخيفنا بهيئته المخيفة لكي لا نخرج.

أمسكت بيد ريناي تسحبها لتسير فإرتعشت يد ريناي وقالت: لا لن اقترب منه، أنه مخيف، بشع.
فنظرت له آسيا بدون خوف وبإصرار في نظرة عيونها وركضت بإتجاهه وهى تتمتم المعوذات السحرية حتى اخترقته قائلة: إذهب فاحرس ذهب سيدك الملعون . ومرت من خلاله فإذا به يتهشم كتمثال زجاجي هش ثم يتحول إلى دخان ويتلاشى. فقالت بفرح لريناي: هيا. اسرعت خلفها ريناي وتجاوزت آسيا الباب وخطت اول خطوتها على السلم نحو النور وهى تنظر للأعلى بفرح. صرخت ريناي من خلفها: آسيا آسيا ادركيني . نظرت خلفها على باب المقبرة، ريناي منبطحة على درجات السلم الاولى تمسك به وتتشبس وتصرخ ونيس تمسك بساق ريناي بمخالبها وتسحبها للأسفل وتنظر ل آسيا بغضب وتكشر عن أنيابها.

عادت آسيا بعد أن أشرق النور على وجهها وامسكت بيد ريناي تجذبها للأعلى، فتسحبها نيس للأسفل، فتركت آسيا يد ريناي وريناي تصرخ: لا تتركيني ارجوكي لا تتركيني وتصرخ.

هبطت آسيا ثلاث درجات ثم دفعت بقدمها وجه نيس بقوة فطرحتها أرضا .

وامسكت بريناي ترفعها من على الدرج وتسير بها للأعلى، صعدتا درجتين عندما صرخت آسيا من الألم.
أمسكت بها نيس من الخلف واوقعتها على ظهرها وانزلقت بظهرها على درجات السلم تطعنها الصخور المدببة في ظهرها حتى سقطت على أرض المقبرة مفزوعة العينين. وقفت نيس فوق جسدها المتهالك وهى تضع قدمها بأظافرها على رقبتها وقالت: سيدي عظيم السحر الأسود يريدك .

وآسيا تحاول ازاحة قدمها من فوقها لتنهض فتدفعها نيس بقدمها فتطرحها على الأرض مجددًا.
فجأة اصطدمت صخرة ضخمة برأس نيس من الأعلى فصرخت ووقعت على الأرض وانفجرت الدماء من رأسها ونظرت بغضب للأعلى فسمعت صوت يقول لها: لن اترك لك صديقتي ايتها الحقيرة.

وسحبت ريناي آسيا من يدها على السلم تحاول أن تصعد بها وبدأ شعاع النور يختفي من باب المقبرة فصاحت ريناي: سيغلق الباب. فإتكأت آسيا على الجدار بيدها اليمنى وعلى ريناي بيدها اليسرى و أخذت تصعد على السلم بالكاد تلتقط أنفاسها. لم تجتاز اخر درجة سلم حتى مال الباب للإنغلاق فألقت كلتاهما بنفسها للخارج، فأغلق الباب على طرف ثوب آسيا فمزقته بيدها وهربت بعيدًا عنه. وارتمت الفتاتان على الرمال وهما ينظران للخلف على الباب خوفا أن يسحبهما، فوجدتا الباب قد تلاشى في الجبل ولا أثر له! ولا علامة واحدة تشير أين كان الباب، فقط الجبل بين الجبال والرمال والصخور! والشمس تغيب عن الوادي وتختفي خلف الجبال.

وفي داخل المقبرة عم الظلام والتفت المومياوات حول نيس وهى تستعيد وعيها وخرج الساحر من غرفة الدفن فرفعت نيس رأسها فوجدت الجميع يحيط بها ففزعت ثم اقتحمونها وهم يدورون حولها كالدوامة ويخرجون روحها وهى تصرخ . خرجت روحها وتحولت لشبح ثم تحول جسدها لجسد مومياء هامدة على الأرض وحمل جسدها باقي المومياوات لغرفة المومياوات الكبرى ثم قال الساحر: الحارسة الجديدة للمقبرة.

****

صمت مينا عن القراءة بعد أن انتهى، والجميع من حوله صامتون وفي انصات تام حتى لصوت الصمت.
حك أحدهم في جبهته وقال: اسطورة سحرية جميلة تلك التي كتبت على هذه اللوحة .

فرد مينا وهو يخلع نظارته ويمسحها وقال: لو صادف ما قرأت ميعاد لعنة الساحر التي تحدث كل مائة عام لحدث ما رويت في مقبرته التي لا نعلم أين هى؟

فرد أحدهم بتعجب: إذن عندما قرأت المعوذة الأخيرة التي في نهاية اللوحة معوذة إيزة عظيمة السحر قد فتحت باب المقبرة لبعض الوقت؟ رد مينا وهو ينظر للمتحدث: هكذا حكت الأسطورة.
ضحك الجميع وقال أحدهم: قصة مسلية . وقال آخر: اسطورة عجيبة واستمر الجميع في الضحك.
رن هاتف أحدهم فقطع صوت ضحكاتهم ونظروا له فأجاب: ألو .. ثم فتح عيونه بإهتمام قائلًا: هل أنت متأكد مما تقول؟ فإنتبه الجميع له والتفوا حوله وبعد أن اغلق الهاتف قال بذهول:
الحراس في وداي الملوك عثروا على فتاتين من الفتيات اللاتي تغيبن منذ أسبوعين، كانتا مغشى عليهما بين الجبال ولكنهما بخير.

طالعه مينا بتعجب وقال متسائلًا: فتاتين! فأين الثالثة؟

****

_كنا في قلب الجبل لا أعرف أي جبل فالجبال متشابه، ثم سلكت نيس طريق بمفردها فضَلت عنا وضللنا عنها، ثم فقدنا طريقنا أكثر في قلب الجبل ولم نعرف كيف نعود ولا أعرف أين هى الآن؟ ولا أستطيع أن احدد أين كنا نحن؟

هكذا أجابت ريناي عند تحقيقات النيابة عن تغيبهم لأسبوعين وأين كانوا؟ وأين نيس؟

****

جلست في سيارتها بجانب آسيا الصامتة ثم نظرت لها وقالت: آسيا أنا لم أكذب فيما قولت، ألم نكن في قلب الجبل؟ ألم تختار نيس طريق أخر غير طريقنا؟ وأنا لا أعلم أين هذا الجبل الأن ولا أود أن أعلم.

ثم بكت بخوف وقالت: لقد رأيت صورتهم على جدران المكتب في كل مكان ينظرون لي عندما سألني وكيل النيابة فخشيت منهم.

ربتت عليها آسيا برفق وقالت: أجل أنتِ لم تكذبي وهو لا يود منا أن نخبر عنه، ليظل بلعنته في أحشاء الجبل، لو أخبرنا عنه.

ثم صمتت آسيا ونظرت ل ريناي فهزت ريناي رأسها بسرعة وخوف وهى ترتعش وقالت: سيظل كل ما حدث في أحشاء الجبل والمقبرة اللعينة.

****

الفصل السادس

بعد مرور اربعة أعوام.

كانت ريناي وشقيقها عاطي وصديقه وأحد اقاربه يسمى أحمد في أحد المطاعم الفاخرة التي تطل على نهر النيل لتناول الغداء، اختاروا من قائمة الطعام وبعد قليل جاءت النادلة تحمل الطعام، وإذ ب ريناي تشهق عندما رأت وجهها قائلة:
آسيا! ماذا تفعلين هنا؟ وقفت آسيا متجمدة وهى تحمل الطعام ولم تعرف بماذا تجيب؟
بهت وجهها من شدة الخجل وخفضت ناظريها عنهم وتمنت لو تنشق الأرض فتبتلعها. في تلك

اللحظة ندمت أشد الندم أن لها صديقة ثرية، ما كان ينبغي عليها ذلك، ثمة مثل يقول "لا تُصادق الثري إذا اتفق عليك أذلك وإذا سيارته في إنفاقه افقرك" ولكن ماذا تفعل لو نشأت الصداقة عندما كانوا أطفال لا يدركون الفرق بين من يمتلك مال ومن يتمناه، ورغم انتقال عائلة ريناي لمكان أخر الأثرياء فقط ظلت تحافظ على صداقتهما البريئة.

لازالت تحمل الطعام وهى خجلة فمر من جانبها مدير المطعم وقال: أنتِ ضعي الطعام أمام الضيوف ولا تقفي هكذا.
تعكرت سمرتها الجميلة وقالت ريناي لمدير المطعم: عفوًا أيها السيد لقد كنت أتحدث إليها فإنشغلت معي فتشتت.
نهض عاطي وأخذ منها الطعام وهو يبتسم لها بإحترام بينما يلهو أحمد في هاتفه متجاهلًا كل ما حدث، وقالت ريناي بعد أن فهمت أنها تعمل في المطعم: لقد اشتقت لكِ ولم نتقابل منذ وقت طويل سوف آتي لزيارتك في منزلك اليوم.

جاهدت آسيا نفسها حتى تبتسم ابتسامة خفيفة وبالكاد ردت: سأنتظرك.

******

جلست ريناي بجانبها على سطوح المنزل قائلة بإستنكار: كيف تعملين نادلة في مطعم وقد تخرجت من كلية الآثار ومن قسم من أصعب الأقسام وبل وحصلتي على علامات مرتفعة؟ ردت بيأس: أجل لقد
ذاكرت واجتهدت لأربع سنوات في قسم الأثار وحصلت على أعلى التقديرات وعندما تخرجت كانت وظيفة المعيدة ل سحر ابنة الدكتور محمد رئيس القسم وأما عن الوظائف في وزارة الآثار فكانت في انتظار من لديه واسطة أو مال ليدفع رشوة للموظفين ليحصل على وظيفة ويتمكن من سرقة المزيد من الأثار وتهريبها للخارج كما يحلو له.
أكملت ريناي وهى تدير وجهها للجانب الثاني قائلة: كل ذلك لم يجيب عن سؤالي، لماذا تعملين نادلة في المطعم؟
تغيرت نظرة آسيا ل ريناي وقالت: لأنني لازلت متيمة في حب المصريين القدماء وأرغب في العمل بوزارة الآثار ولو أكملت دراستي وحصلت على الماجستير سأتمكن من العمل بها وأحقق حلمي .

ثم تحولت نبرة صوتها لما يشبه التبرير والشكوى وقالت: ولكن عائلتي لا تمتلك المال للإنفاق علي حتى أحصل على الماجستير الذي يستغرق ثلاثة أعوام أو أكثر بل وسأحتاج لمال كثير لأدفع رسوم دخول المتاحف والمقابر وغيرها من تلك الأشياء التي سأحتاجها في الدراسة فذهبت للعمل كنادلة في المطعم لأغطي تكاليف الماجستير.

وهنا فتحت ريناي حقيبتها واخرجت رزمة من الأموال لا تقل عن عشرة آلاف جنية وقالت: خذي هذا المال واكملي الماجستير . ردت آسيا معاتبة لها: لو كنت اقبل الصدقة لما ذهبت للعمل كنادلة .

شعرت ريناي بأنها جرحتها فقالت: خذي المال على سبيل الاقتراض كدين وقومي برده لي فيما بعد.
ردت آسيا وهى تحدق في عيونها: لن استدين مادمت لا امتلك وسيلة لسداد هذا الدين، وكما تقول امي دائما "السلف تلف والرد خسارة"

شعرت ريناي بحزن ممزوج بقليل من الغضب فطالعتها بعتاب وهى صامته فهمت آسيا ذلك فقالت تخفف من غضبها: ريناي أنتِ صديقتي بل واختي وأعلم انكِ تودين مساعدتي ولكن لن أخذ المال لتظل علاقتنا معًا كما هى أصدقاء فقط.

****

جلست ريناي هذه المرة بعد عودتها بجانب شقيقها عاطي وحكت له ما حدث فقال باسمًا: تبدو فتاة صاحبة كرامة لذا سأخبرك كيف تساعديها وبدون أن تجرحي مشاعرها أو حتى تكتشف انك ساعدتيها. ردت
ريناي بلهفه: كيف؟ هيا أخبرني. تحدث لها قليلًا فإبتسمت وقالت: يا لها من فكرة رائعة.
وامسكت بالهاتف وقالت: لنتصل أذن بالسيد الوزير لنجعل الأمر يحدث بسرعة.

****

كانت آسيا عائدة من المطعم فسمعت وهى بالقرب من منزلها والدتها تزغرد، لأن الزغاريد تأتي من منزلها، دلفت المنزل بتساؤل وجدت الجميع مبتسم ووالدها يمشط شاربه الكث وينظر لها بفخر وبجانبه شقيقها يطالعها بنفس النظرة وهو مبتسم ومتكيء بذراعه اليمنى على مسند الكنبة الخشبي ووالده يسأله قائلًا: هل ستتقاضى أجر جيد في هذا العمل،

وأسرعت لها والدتها بوجه متهلل وقالت: آسيا لقد عوضكي الله على تعبك في الجامعة وقد جاء إليك جواب من وزارة الأثار لشغل وظيفة ما بالوزارة، وأردفت وهى تفكر: لا اعرف ماذا ستفعلين بها ولكن بالتأكيد جيده.

وأكمل شقيقها قائلًا: ها أنتِ قد حصلت على الاثنين معا العمل والامكانيات التي تحتاجينها لمتابعة دراستك في الأثار.

كان الخبر يستحق زغاريد والدتها، هكذا فكرت آسيا وهى تكاد تبكي من الفرح وتابعت دراسة الماجستير بل والدكتوراه في علم المصريات و وخلال سنوات من الجد والكبد والتعب أصبحت ترأس فريق من المنقبين في المناطق الأثرية الهامه وتقضي معه معظم أوقات يومها، وكلما عادت للمنزل بعد يوم عمل طويل في وادي الملوك أو الملكات تجد والدتها تجلس على الكنبة وقد عصبت رأسها بالطرحة (الإشارب) كما تفعل دائما عندما تكون حزينة، وآسيا تعلم لماذا هى حزينة؟ فلم تسألها بل اتجهت لغرفتها مباشرة.

ووالدتها تقول لها: إلى متى ستظلين هكذا بدون زواج؟ هل ستتزوجين أحد المومياوات المساخيط الذين تبحثين عنهم طوال السنوات الماضية؟! لقد اعتادت على هذه الكلمات فهي لا تسمعها في المنزل فقط بل و خارج المنزل وفي العمل لقد سمعتها بكل الطرق وعلى كل الطرقات وبأساليب مختلفة ، تمر في الشارع وهى عائدة من العمل فتسمع تهامس النسوة عليها: من الذي سيتزوجها بعد أن تغيبت لأسبوعين ولا أحد يعلم أين كانت؟ وترد أحد النساء وهى تمصمص شفتيها يمينًا ويسارًا قائلة: تقدم لخطبتها ابن العمدة الذي يمتلك عشرة فدادين من الأراضي الزراعية فرفضت بحجة أنه لا يناسب مستواها التعليمي! فترد المرأة الاولى قائلة: ابن العمدة ما شاء الله عليه خريج دبلوم زراعة ذي الفل يترفض! هذه المغرورة لن تتزوج ابدًا. فتكمل المرأة الثانية في شماته: لقد نسيت اصلها أنها ابنة حارس واخيها حارس أيضًا وهى لا تزال تعيش في منزل كالعشة . وبالقرب من هؤلاء النسوة العجائز تجلس الفتيات المتزوجات يداعبن أطفالهن وفي عيونهن الغيرة والحقد عليها لأنها أصبحت ذات علم ومنصب ويقف لها الرجال احتراما، فتنسى كل واحدة منهن طفلها التي تحمله وتبدأ في الحقد عليها وتتمنى لو كانت مكانها ولكن لا تظهر ذلك بل تحمل ابنها وتقاطع آسيا في طريق عودتها للمنزل قائلة: انظري يا آسيا ابني اتم عامه الثامن اليوم، إن شاء الله في القريب العاجل سوف يرزقك الله بزوج وتصبحين ام.

ضحكت آسيا وهى فتاة مثلها وتعلم ما تقصده وتخفيه من غيرة وحقد فردت عليها قائلة: شكرًا لكِ ثم اردفت وهى تحدق في عيونها مباشرة: كنت أود أن اطمئن على علاقتكي بزوجك هل توقف عن ضربك أم لا؟
بلعت الفتاة لسانها وحدجتها بنظرة غضب ولم ترد فضحكت آسيا وتابعت قائلة وهى تشير للطفل: فيما شرودك لقد بلل الطفل ملابسك وأنتِ لا تشعرين.

لا مشكلة لدي آسيا في كلام النسوة بل المشكلة في والدتها التي تكرر على أذنها نفس الكلام في المنزل، سنك ثلاثة وثلاثون عام، كل اللي قدك اتجوزوا وخلفوا من زمان .

وآسيا أصبحت معلقة بين عالمين فلا هى في المستوى البسيط فيسعدها البسيط مثلها فتتزوج منه ولا عائلتها في المستوى الرفيع فيرغب بها ابناء هذه الطبقة، أنها في معضلة ما بين مستواها ومستوى عائلتها وثقافتها، ومن يرغب في الزواج سيتزوج العائلة بأكلهما بذلك النسب وليس آسيا فقط.

****

وفي أحد الأيام كانت تراقب الحفريات في وداي الملوك عندما رأت العمال يتجهون إلى ذلك الجبل حيث البئر التي سقطت بها منذ سنوات طويلة، وفي لحظات وصلت لها لتجد العمال متأهبين بالحبال وأدوات الحفر فوق البئر، فصاحت بهم قائلة: ماذا تفعلون هنا ؟

أجاب أحدهم: الاستاذ مجدي أخبرنا اننا سنهبط إلى هذه البئر لاكتشافها لقد كانت مختبئة عنا أسفل تلك الصخرة الضخمة.
فوقفت أمامهم والبئر خلفها وطالعتهم بصرامة وقالت: هؤلاء العمال سيقومون بردم هذه البئر الان ولن يقوم أي أثاري بالتنقيب في هذا الجبل واترك لي أمر الاستاذ مجدي فأنا المسؤولة عن الحفريات في وادي الملوك .

ووقفت بالقرب من العمال تراقبهم تتأكد من تنفيذ الأوامر، شعرت بالراحة عندما رأتهم يدفنون عنق البئر من الأعلى حتى توارت تحت التراب وأمرت بإعادة الصخرة فوقها.

أنهت عملها وكانت عائدة في طريقها للمنزل تتحدث ل ريناي بالهاتف وصديقتها تحدثها قائلة: عندما تصلين للمنزل هناك مفاجأة لا يمكن أن تخطر على بالك في انتظارك.

تعجبت وقالت: مفاجأة تنتظرني في المنزل! لا شئ في المنزل ينتظرني سوى والدتي ومعايرتها لي بعدم الزواج حتى الأن . ثم نظرت من زجاج نافذة السيارة للطريق وقالت بتعجب: المفاجأة تنتظرني في المنزل فكيف علمتي أنت بها؟

ردت ريناي وهى تبتسم قائلة:لا شئ عنكِ يخفى عني يا صديقتي العزيزة حتى أسرارك هل نسيتي؟
أغلقت الهاتف وهى تدخل المنزل لتجد الجميع في فرحة عارمة لم تراها على وجوههم إلا من سنوات طويلة عندما حصلت على الوظيفة، وبنفس الأسلوب سارت لها والدتها وهى في قمة السعادة وقالت: .....

****

الفصل السابع

أغلقت الهاتف وهى تدخل منزلها لتجد فرحة عارمة لم تراها مثلها على وجوههم إلا منذ سنوات مضت عندما حصلت على الوظيفة، وبنفس الأسلوب سارت لها والدتها وهى في قمة السعادة وقالت: آسيا لقد عوض الله صبرك خيرًا وتقدم لخطبتك اليوم شاب تحلم به نصف بنات مصر، لا يوجد به عيب واحد، هو ثري وابن عائلة قوية وذات منصب وصيت، ووسيم واكبر منك بعامين فقط وخريج كلية.... ولم تعرف كيف تقول اسم الكلية فقال همام شقيقها الذي يجلس بجانب بشندي: خريج كلية أدارة الأعمال من الجامعة الأمريكية وابن رجل أعمال شهير وأنت تعرفينه جيدًا. صمتت آسيا للحظة تستوعب كل ما سمعت وهى تطالعهم بتعجب وتفكر هل كل ذلك حقيقي؟

فقال والدها بفخر: إنه أحمد قريب صديقتك آسيا ابن رجل الأعمال محسن، جاء لخطبتك اليوم و معه صديقة وقريبه عاطي وكان يلح على موافقتنا وكأنه لا يستطيع الانتظار ويقول إن كل شروطك مجابه من قبل أن يعرفها و... فقاطعته آسيا بدهشة وقد تقوص حاجبها قائلة: مهلًا يا أبي وهل أحمد لم يتزوج بعد؟ ما الذي منعه من الزواج طوال السنوات الماضية؟ فهو يملك كل شئ وكان مخطوب منذ عدة أعوام. فجذبتها والدتها من ذراعها قائلة: وما الذي منعك أنت من الزواج طوال السنوات الماضية؟ الزواج نصيب وربنا أخر نصيبه من أجل أن يتزوجك، ووالدك رد عليه بالموافقة لا تحاولي أن تكسري كلمة والدك أمام الرجال.

بينما شرد عقلها لا تستطيع أن تصدق أن بن رجل أعمال يرغب في الزواج من ابنه حارس، وجلست في غرفتها تفكر أن هذه الطبقة من الأثرياء لا تأبه لمن تحمل ماجستير أو دكتوراه ليرغب في الزواج منها من أجل مستواها ولا وظيفتها، وتتذكر خطيبته الاولى كيف كانت ذات ثراء وجمال وهذا ما ترغب به هذه الطبقة، فكيف انقلبت الأمور رأس على عقب وطلب الزواج مني!

****

لأيام وآسيا تتصل ب ريناي تسألها هل كانت وراء كل ذلك، وتقسم لها ريناي بأنها لم تتدخل في أي شئ بل أحمد هو الذي طلبها للزواج من تلقاء نفسه. فتسأل آسيا مرة ثانية: وهل عائلته موافقة على زواجه من ابنه حارس؟.
كل الأسئلة اجابتها تؤكد أنه يرغب في الزواج منها، لكن يظل هناك شئ ما في صدرها يخبرها أن الأمر ليس كما يبدو في الظاهر رغبة في الزواج، لا هناك سر مختبئ خلفه .

وتعود فتسأل نفسها: لماذا لم يتزوج كل هذه السنوات؟ تود إقناع نفسها به لأن عائلتها سعيدة بهذا الزواج وهى تتمنى أن تكون سعيدة فهو فارس الأحلام لمعظم الفتيات، لولا ذلك الشك الذي لا يغادر صدرها ولا يتركها لحظة ويوغر قلبها فيسلبه الفرحة.

أحمد على عجلة لإتمام الزواج من آسيا فوافق على كل شروطها التي اشترطتها عليه. آسيا: آسيا: سأكمل في عملي.

أحمد: موافق.

آسيا: لدي طموح كبير واسعى لتحقيقه.

أحمد: موافق.

آسيا: اريد...

أحمد: موافق. وكل شئ يوافق عليه الوسيم ذو البشرة البيضاء والعيون الملونه وبدون تفكير حتى قالت له : تبقى شئ أخير. رد بتلقائية وهو جالس بإسترخاء علي الكرسي ببدلته الأنيقة الغالية: هيا أخبريني ما هو؟

أجابت وهى تطالع عيونه: ألا تعطيني فرصة لاعتاد عليك واحبك في الخطوبة؟ نظر للنهر حيث كانا جالسان وقال: الحُب يأتي بعد الزواج، سنحب بعضنا ونعشقها بعد الزواج. بقدر ما اقلقتها عبارته الأخيرة إلا أن ضغط عائلتها لم يترك لها فرصة للتفكير.

****

وفي يوم عقد القران تجلس عائلة أحمد وبجانبه والده ووالدته وشقيقته وقد أمسك شخص ما بقلم وشخبط على وجوههم شخبطة العبوس، بينما رسم على وجوه عائلة آسيا الفرحة والابتسامة، وبين النساء ترقص ريناي وتغني.
كان كل شئ كالأحلام من جماله وبريقه، طقم من الألماس كان شبكتها ومال وفير كان مهرها، قصر كبير سيتزوجان به، حفل زفاف كالنجوم، وشهر عسل في أجمل مصايف مصر، كل شئ جميل وأحمد يحترمها ويظهر لها كل الود، وأصبحت محط حسد النسوة في المدينة بعد أن كانت أحاديثهم قد ملئت بنقدها والسخرية منها، بل أصبحت محط أنظار وحسد الجميع بهذا الزواج المميز.

بعد انقضاء شهر العسل عادت لعملها وشعرت بإرهاق شديد من كثرة التنقل طوال اليوم وهى تشرف على أكثر ممن منطقة أثرية تجرى بها عمليات التنقيب دون جدوى، فلم تصل إلى أي اكتشاف بعد، كل ما تناله هو حرارة الشمس وسخونتها التي تلسعها بحرارتها القارسة طوال وذرات الرمال التي تؤذي عيونها ونظرات الهيئة على وجوه فريق التنقيب عند نهاية كل حفرية .

****

عادت للقصر وألقت بنفسها على الفراش بإحباط بملابسها وحذائها، ظلت ثابتة بدون حراك لبرهة من الوقت غفت عيونها عندما شعرت بشئ يتحرك بجانبها؟ فزعت وفتحت عيونها وهى تنهض وتنظر بجانبها لتجد زوجها هو من يتحرك.

وضعت يدها على قلبها وهى تأخذ نفس طويل بينما نظر لها ولم يأبه لردة فعلها فحدجته بنظرة ضيق فقال ببرود : هل هناك شئ يخيفك؟ أجابت بسرعة: لا، لا يوجد شئ يخيفني أنا فقط كنت مرهقة فلم أشعر بك وأنت تدخل للغرفة. فقال بنفس الطريقة دون اكتراث: حسنًا عودي للنوم تبدين مرهقة بالفعل . فكرت في سرها، قد أكون اهتم بعملي كثيرًا وهذا يضايقه أو يؤثر على علاقتنا فقالت وهى تضع يدها على كتفه برفق: أحمد لو كنت تود مني أن أخذ إجازة من عملي لاهتم بك أكثر فيمكنني أن أقوم بذلك فالعمل يمكن تعويضه في أي وقت أخر.

رد بدون اهتمام وبتلقائية وهو يطالع هاتفه: لا، ومن قال انك لا تهتمين بي؟ انتِ زوجة رائعة وناجحة في عملك وطموحة، استمري ولا تتوقفي ولا تجعلي أحد يوقفك.

ظن أنه أسعدها بكلماته وفي الحقيقة أغضبها؛ فهى من كانت تطلب الاهتمام منه بهذه الكلمات وها هو ردها خائبة.
ألقت بنفسها على السرير وعادت للنوم بحزن وإحباط اثقل، لا يكفي خيبات العمل بل وفي المنزل أيضًا.

شعرت بالوحدة وهو بجانبها بجسده فقط، حتى بعد أن غطت في النوم من شدة التعب في حلمها كانت وحيدة في الصحراء، صحراء تشبه التي تنقب بها في الصباح والمساء تنقر عظامها سخونتها وتكاد تصهرها، نظرت حولها لا أحد، فجلست على صخرة وهى حزينة وخائفة، فرأت الرجال من بعيد يحفرون ويحفرون وينقبون ثم تظهر الحفر خاوية مما تبحث عنه. انحنى أحد الرجال الذين يحفرون فرأت خلفه صبي يلعب وممسك بعصا ويكتب شئ ما على الرمال، قبل أن تسأل من أين جاء هذا الصبي؟ ولا كيف له التواجد هنا؟ لاحظت أن كتابته على الرمال غريبة ويكتب بسرعة مريبة. نظرت ماذا يكتب؟ فوجدته كتب بالهيروغليفي: مرحبا آسيت.
اتسعت حدقت عيونها وحدقت في الكتابة على الأرض ثم نظرت له فوجدته يرتدي ملابس مصرية قديمة وفي عيونه الكحل مرسوم وينظر لها، ظنت أنه خيل إليها ما رأت، ففركت عيونها ثم نظرت من جديد. فلم تجد الصبي!
وجاءت رياح فحملت ما كتب على الرمال لتطير الكلمات في الهواء أمام عيونها كما كانت مكتوبة على الأرض: مرحبا آسيت، ثم تلاشت! سمعت صوت من جانبها يقول بالهيروغليفي: مرحبا آسيت.
فشهقت ونظرت فإذا بالصبي يجلس بجانبها وينظر لها ويقول باللغة المصرية: أنا أسكن هنا واراكي كل يوم تحفرين عن الأسرار ولا تجدينها. ردت بتوتر وهى لم تستوعب ما قد رأت منذ لحظة: أسرار، أي أسرار؟ فضحك وقال: الأسرارالتي تبحثين عنها، هل اخبرك اين توجد وتكوني صديقتي؟. هزت برأسها ليستمر في الحديث وقالت: أجل. فقال وهو يشير بإصبعه السبابة: هنا جدي يخفي كنز كبير.
حدقت بعيونها حيث يشير الصبي ثم التفتت له قائلة:.... فلم تجد الصبي!
نهضت من على الصخرة وتلفتت في المكان تبحث عنه فوجدت على الرمال مكتوب بالهيروغليفي: تعالي إلى هنا غدًا يا صديقتي. وتكررت كلمة صديقتي ثلاث مرات

خنمست إي. خنمست إي. خنمست إي.

استيقظت من نومها وهى تفرك عيونها تفكر فيما رأت ثم قالت في سرها طريقه واحدة للتأكد هل هو مجرد أضغاص أحلام أم شيء أخر، بدلت ثيابها وفي وقت قصير كانت في المكان الذي أشار إليه الصبي تتنظر له فترى كل تفاصيله كما رأتها في الحلم ولا يوجد اي اختلاف. هناك طريقة واحده، تمتمت بها مرة ثانيه
واستدعت الفريق الذي ترأسه من المنقطة التي ينقبون بها وقالت: سننقب هنا. نظر لها مينا الذي حضر ليشاهد العمل فقط وقال: لم يكتشف أحد من قبل آثار في هذا الجزء من الوادي. لم ترد ولكنه زاد من قلقها فشعر أنه أخجلها فأراد أن يغير الحديث فقال: هل تعلمي يا آسيا لم أكن أعلم أنك من ضمن الفتيات اللاتي تغيبن في الوادي لمدة أسبوعين منذ سنوات مضت. زاد من توترها فهى لا تحب أن تتذكر القصة التي دفنتها وهو يود أن يعيد نبشها لأنه يشك في القصة التي رويت، فتظاهرت بأنها منشغلة في مشاهدة الفريق وهم يتجهون للموقع و يحفرون فأكمل مينا قائلًا: يومها عثرنا على لوحة في منطقة دهشور و.
وأخذ يحكي لها كل ما حدث وهى تنصت له بعد التجاهل واذناها تلتهمان ما تسمع إلى أن أنهى القصة فقالت بلهفة: وأين هذه اللوحة الحجرية؟ أنا رزت كل متاحف مصر وحفظت كل القطع الموجودة بها أثناء الماجستير والدكتوراه ولم تكن هناك مثل هذه اللوحة التي وصفتها ولا النص الذي ذكرت.

فضحك وقال: لأنها ليست في أي متحف أنها في أحد المخازن السرية لأننا عندما عثرنا عليها كان الجميع يتحدث عن لعنة الفراعنة والسحر وهى كانت تخبر عن السحر والساحر، لذا أصدر المسؤول في ذلك الوقت قرار بإخفاء أي أثار تتحدث عن السحر ليمنع إثارة البلبلة بين الناس، ومن وقتها لم أحكي قصتها لأحد سواكي ولم تظهر اللوحة للعلن.

ثبت مينا النظارة بيده على عيونه وهو يحدق بها بتركيز يحلل ردة فعلها على ما سمعت بينما لون وجهها يتغير وعيونها تتسع وشردت فيما تفكر فيما سمعت ثم غادرت المكان فجأة دون أن تنبذ بكلمة.

******

وبعد عدة ساعات من البحث وقفت آسيا أمام المخزن السري بينما يفتح الموظف باب المخزن وهو خائف قائلًا: حذرنا المسؤولين من الاقتراب من ذلك المخزن ولم يسمحوا لأحد من الدخول له، ثم انصرف بسرعة كالهارب.
دلفت للمخزن الكبير الطويل المضاء سقفه بعدد قليل من المصابيح لا تزيد عن ثلاثة على مساحات بعيده، فجعلت الإضاءة ضعيفه فأخرجت بطارية من حقيبتها تضيء بها وهى تبحث بين الأثار فلا تسمع سوى صوت خطواتها وتتوغل للداخل وتسير بحذر بين الآثار وتطالع التماثيل ثم تفتح الصناديق وتتفحص عيونها اي لوحدة بدقة رغم أن لونها ليس أسود، وصلت لنهاية المخزن ولم تجد اللوحة وقفت وأخرجت زفير طويل بحنق شديد واستدارت عائدة سارت خطوتين ثم توقفت ونظرت للخلف حيث صندوق كبير مرتفع مفتوح وبداخله برديات، سارت إليه وهو تقول في سرها لم افتحه ومدت يدها تغلق الصندوق وما أن أغلق الصندوق حتى شهقت وهى تحدق خلفه حيث تقف خلفه اللوحة الحجرية السوداء، اخذت نفس عميق وسحبت الصندوق للخلف قليلًا بشق الأنفس وجلست عليه أمام اللوحة بإهتمام تقرأ كل عبارة وكلمة وحرف ورمز تحت ضوء البطارية، وأخرجت دفترها وبدأت تكتب بعض الملاحظات الهامة بتركيز، فجأة وهى منغمسة في الكتابة صدر صوت مرتفع بجانبها.

ففزعت وانزلقت في جلستها واصطدمت باللوحة فنهضت عنها وهى مفزوعة بعد أن ارتطم وجهها بالنقوش لتكتشف أنه صوت الهاتف في حقيبتها وهو يرن!

أخرجته بسرعة وأجابت وانفاسها تكاد تنقطع من التوتر: ألو. صمتت وهو منصته واتسعت عيونها وهرولت بلهفة وهى تحمل حقيبتها ودفترها وتغادر المخزن وهى تركض وتصيح بالموظف: أغلق باب المخزن بإحكام ولا تدع أحد يدخل إليه. حدجها العامل بعيون غاضبة ثم طالع باب المخزن بخوف.

****

الفصل الثامن

في وادي الملوك اكتشف فريق التنقيب الأثار في نفس المكان الذي أشار عليه الصبي في الحُلم، ونقلت الكاميرات الحدث الذي انتشر في مصر كلها وأصبح الجميع يتابعه صباحًا مساءًا فسألها مينا مجددًا: كيف خمنت وجود مقبرة هنا؟

كل أسئلة مينا لا تجيب عنها آسيا وسارت في المقبرة بين العمال والخبراء والكل يهنئها بأول اكتشاف تحت إشرافها وهى سعيدة، وبينما تراقب الفريق عن قرب وجدت ثلاثة من الخبراء ملتفون حول صندوق في المقبرة ويتجادلون ويتناقشون وعلى وجوههم علامات الاندهاش. سارت إليهم وقالت: ماذا هناك؟ رد أحدهم:
لقد دخلنا للتو هذه المقبرة التي لم يدخلها أحد منذ ألفي عام تقريبا، وكل شئ بها كما وضعه المصريين القدماء عند دفن الميت. ثم مد الخبير يده للصندوق وقال: فكيف توجد بين مقتنيات المتوفي حقيبة كهذه؟! وأخرج من الصندوق حقيبة نسائية حمراء صغيرة حديثة تماما كالحقائب التي ترتديها النساء الأن . أمسكت بها آسيا وتفحصتها وتعجبت بدورها من وجودها بين مقتنيات صاحب المقبرة ثم تركتها في مكانها، فقال أحد الخبراء: وجود هذه الحقيبة قد يزرع الشك في المقبرة بأكملها أنها مزيفة، علينا إخفائها قبل أن ترصدها الكاميرات . نظر الثلاثة لبعضهم البعض لأنهم محاطون بالناس من كل جانب والكاميرات قادمة في اتجاههم، فنظر أحدهم إلي آسيا لأنها تحمل حقيبة كتف كبيرة، ففهمت آسيا ما يشير إليه فقالت: أنا سأخفيها. والتقطت الحقيبة الصغيرة بخفية ووضعتها في حقيبتها الكبيرة دون أن يلاحظ أحد.

****

عادت لقصرها بعد يوم عمل طويل وسعيد وناجح، دخلت للقصر فوجدت أحمد يبتسم لها ويهنئها بأول انجاز لها، فأحتضنها ثم أخذ الحقيبة وهو يمزح معها قائلًا: هل أحضرت لنا بعض الذهب في هذه الحقيبة؟ ضحكت وهى تجلس لتستريح قائله: في الحقيبة شئ أعجب من الذهب لو رايته يا أحمد لن تُصدق .

فضحك وفتح الحقيبة ليرى ما بها بعد أن كان يمزح فقط وما أن سقطت عيونه على ما بداخلها حتى انقلب وجهه للعبوس ثم الصدمة ونظر ل آسيا بغضب وهو يلقي الحقيبة بعيدًا قائلًا: من أين جئتِ بهذه الحقيبة الحمراء؟ ردت بقلق وهى تطالع وجهه: أنت تعرفها إذن؟ لمن هذه الحقيبة؟

صاح بها بغضب: أنا من أسألك من أين جئت بها؟

آسيا بتوتر: عثرت عليها في المقبرة التي اكتشفتها. تغير لون وجهه للإحمرار الشديد من الغضب وصاح: كاذبة، كاذبة، أخبريني بالحقيقة.

نهضت من مقعدها وتمسك بحائط الكرسي بيدها بتوتر وقالت بغضب: لستُ كاذبة عثرت عليها في المقبرة وتعجبنا من وجودها فقمت بإخفائها حتى لا نزرع الشك في عقول الناس حول المقبرة، ها قد أخبرتك بالحقيقة، أخبرني الأن مكيف تعرف هذه الحقيبة؟ ولماذا غضبت عندما رأيتها؟ ومن صاحبتها هيا اخبرني؟

رد بصوت اقرب ما يكون للصراخ وهو يشير بأصبعه السبابة بالنفي: لن اخبرك لأنكِ كاذبة فمن ذلك الغبي الذي يصدق الرواية التي ذكرتها؟

تركها في غضبها وهى تحملق به وصعد السلم إلى أن وصل منتصفه ثم وقف واستدار ونادى على العاملين في القصر فحضروا في التو واللحظة فقال لهم وهو يشير: أحرقوا هذه الحقيبة بما فيها.

غضبت وصاحت قائله: لا، لا تحرقوها احتاج للبحث عنها، قد يكون خلفها سر هام.

فرد هو بغضب : قولت أحرقوها، أحرقوها الآن و نفذوا أمري.

فأسرعت العاملات بالقصر للحقيبة ليحرقوها وهى تحاول منعهم وتمسك بالحقيبة، فهرول زوجها وأمسك بها بقوة يمنعها من منعهم وهى وهى تصيح: لا لا وتنظر نحو الحقيبة.

بينما زوجها يمسك بها وتحترق الحقيبة أمام عيونها حتى تحولت إلى رماد.

تركها بعد أن احترقت الحقيبة وتوقفت عن الصراخ مصدومة غير مصدقة أنها فقدت الحقيبة، فحاول تهدئتها قائلًا: ما فعلته كان...

فنهرته قائلة: لا تتحدث معي أنت أسوء زوج على وجه الارض ولا تأبه لأي شيء أريده أو يخصني.

وتركته وذهبت للنوم بمفردها في أبعد غرفة عن غرفته في ذلك القصر الكبير، أغلقت الباب واستلقت على السرير بنفس الحزن الذي نامت به من قبل ومع نفس الوحدة التي تشعر بها دائمًا رغم زواجها، وما أن ارتخى جفنها وانسدل على عيونها وقبل أن تتذوق عيونها طعم النوم فتحتها في نفس المكان في الصحراء وبدأت تبحث عن الصبي الذي رأته من قبل فلم تجده.

سارت في الصحراء حيث لا يوجد سوى الرمال والصخور والجبال والوحدة التي تسكن قلبها فتزيد شعورها المؤلم فسمعت صوت يقول لها: هل تبحثين عني؟ نظرت للصوت لتجد شاب مصري جميل من القدماء يرتدي الملابس المصرية البيضاء بتلك التنورة المميزة بحزام ذهبي ويرتدي تاج على رأسه ويمسك بعصا ذهبية في يمينه ويبتسم لها. فقالت بتعجب وهى تحاول أن تتمالك نفسها: كيف أبحث عنك وأنا لا أعرفك؟
فتبسم وقال: أنتِ تعرفيني منذ أن كنت طفل صغير يا آسيت. ثم لوح بيديه في الهواء وهو يشير بالعصا الذهبية التي يمسكها بيمينه، فظهرت صورتها هى والطفل الذي كان معها في حلمها السابق وتابع قائلًا: أرايتِ؟ أنا ذلك الطفل قد كبرت وأصبح عمري أربعة آلاف عام واسمي رع مسيس.
فقالت بدهشه: لماذا ظهرت لي كطفل في الحلم السابق وأنت شاب؟

ضحك ونظر في عيونها مباشرة وقال بلئم: لأنك تُحبين الأطفال ومحرومة منها بسبب زوجك.
ردت بإهتمام: زوجي هل هو عقيم؟

رد ساخرًا: لا هو ليس عقيم الأطفال بل عقيم المشاعر الطيبة مثل الحُب، لأنه لا يُحبك ولن ينجب منك ابدًا فلن تكوني أم.
انزعجت وقالت: بلى زوجي يحبني وسننجب قريبا. ضحك مستهزأ من قولها وترددت ضحكاته حولها في الصحراء وهى تستشيط غضبًا حتى انتهى وهى تُحدق بتجهم، ثم قال وهو يشير بعصاته الذهبية إلى مكان ما في الجبل: في هذا الجبل ثلاثة تماثيل للملك إعح مس (أحمس) الذي تحبينه، أنهم هدية مني لك لأنك صديقتي منذ أن كنت طفل لكن.. تغيرت تعابير وجهه للصرامه وهو يحدق في عيونها وتابع قائلًا: إياكِ أن تخبري أحد عني حتى زوجك، وأردف وهو يهز عصاته الذهبية بالنفي وينظر في عيونها: زوجك الذي لا يحبك، لو افصحتي عن سرنا لن اخبرك عن باقي الآثار.

شعرت بالغضب من استفزازه بعدم حب زوجها فقالت بعناد: ولماذا لا أخبر.....

قبل أن تكمل سؤالها اختفى فجأة من الصحراء كدخان قد حملته الريح وتركها وحدها وهى تتلفت تبحث عنه وتصيح: أين ذهبت؟ أين أنت؟ لم تراه بل رأت عصاته الذهبية التي تنتهي برأس انوبيس في الهواء تشير للجبل .

******

وقفت للمرة الثانية أمام الاكتشاف الثاني والتلفاز ينقل نجاحها وتم ترقيتها في العمل وظلت عدة أيام مشغولة بالمنصب، وبعد أن فرغت من انشغالها فكرت في نفسها لقد تحققت نبوءة رع مسيس عن الأثار، فماذا عن باقي حديثه؟

على الرغم من أنها كانت على خصام مع زوجها منذ الشجار الأخير، فقد تركت غرفة العزلة وعادت لغرفة زوجها وتزينت بأجمل زينة وجلست أمام المرآة تنظر لوجهها الأسمر الجميل وتعد الدقائق ليعود، عاد في وقت متأخر وفتح باب الغرفة فشاهدها وهى جالسة على السرير.

فوجئ بوجودها وتوتر ولكنه تصنع الهدوء وقال وهو يبتسم: عدتي للغرفة، كانت سيئة من دونك يا سمراء الوادي.
ردت عليه الابتسامة وهى تشير إليه برقة بالجلوس بجانبها، جلس وأمسك بيدها وقبلها في رأسها فقالت وهى تنظر في عيونه الملونة الجميلة: تزوجنا منذ عام ولم ننجب ألا نذهب للطبيب؟ ترك يدها وفرك في جبهته ثم تنهد وقال: لازلنا في ريعان شبابنا فلما العجلة على الإنجاب؟ فلتأتي الاطفال عندما يشاء الله. فحدجته بنظرة اخافته بكحل عيونها الأسود المشدود بذيل طويل كالمصريين القدمى، فقال يبحث عن أي تبرير لما قاله: لو انجبتِ الأن فهذا سيعرقل نجاحك في عملك لأنك ستكونين حامل ولن تستطيعي التحرك بسهولة بين الجبال والتنقيب، تابعي عملك وإنجازاتك فأنتِ طموحة وتستحقين ذلك النجاح المبهر الذي تحصدينه يومًا بعد يوم.

سمعت صوت رع مسيس يتردد في أذنها ويهمس: لا يُحبك، لن ينجب منك.

فنهضت بغضب تغادر الغرفة: فلحق بها على باب الغرفة وأمسك بيدها قائلًا: مهلًا انتظري يا آسيت أنا أحبك، لم أقصد ... فنزعت يدها من يده يغضب وانصرفت وأغلقت الباب في وجهه بعنف وعادت لغرفة العزلة وانزوت في جزء صغير من السرير تحتضن قدماها بذراعها وتضمهما إلى صدرها وهى تبكي بحرقه حتى لطخ كحل عيونها ثيابها الناعمة البيضاء على ركبتيها وهى تسند رأسها عليها وتدس وجهها بينها في حرقة، تخشى أن تنام لأنها لو نامت سترى رع مسيس في الحلم فيشمت بها.

ظلت مستيقظة طوال الليل مع وحدتها القاسية التي لا ترحم وفي الصباح ذهبت للعمل تتنقل من هذا الموقع لذاك المكان تتابع الأشراف على الحفريات. بينما يحفر أحد العمال بدأ شئ ما يظهر من وسط الرمال، فترك العامل الفأس وهو مبتسم وأمسك بالفرشاة حتى لا يخدش القطعة الأثرية التي تظهر من الرمال رويدًا رويدًا . ظهرت القطعة كاملة، أنها فردة حذاء حمراء نسائية حديثة! ضحك العامل وألقاها بعيدًا وقال: ما الذي أدخل أحذية النساء على عمق بين الآثار؟! انتبه أحد الخبراء الذي كان في المقبرة المكتشفة فقال وهو يتحدث ل آسيا: تبدو لها علاقة بتلك الحقيبة التي... وأشار ل آسيا برأسه ليذكرها وهى تنظر للحذاء الملقى بعيدًا بتساؤل، فسارت آسيا بحذر للحذاء وأخذته ووضعته في حقيبتها وتبلع ريقها.

سرعان ما عادت ودخلت القصر، وجدت زوجها في انتظارها، في الحقيقة ينتظرها ليعود للود معها بعد ما حدث بالأمس، وقد أحضر لها زهور حمراء، رأت الزهور الحمراء فذكرتها بالحقيبة الحمراء والحذاء الأحمر الذي تخفيه في الحقيبة.

ظنت أنه سيسألها ماذا تحمل في حقيبتها اليوم. فأمسكت بالحقيبة بشكل مريب وهى ترتعش وتضعها تحت ابطها وهى تنظر له بتوتر وحبات العرق تتسبب من على جبهتها. لاحظ سلوكها الغريب فنسى ما كان ينوي فعله وأشار بيده اليمنى على الحقيبة بينما يحمل الزهور الحمراء بيده اليسرى وسألها: ماذا تحملين في الحقيبة؟
فلم تجيب فكرر سؤاله: ماذا تخفين في الحقيبة؟. فحاولت تجاهله وسارت فألقى بالزهور التي يحملها وسار ونزع منها الحقيبة بغضب وهو يقول: أنتِ تخفين عني اسرارك ثم تتهميني بأني لا أحبك.
فتح الحقيبة يفتشها وهى تقف متوترة ثم رفع ناظريه من داخل الحقيبة وحدق بعيونها بينما يعلو صدرها ويهبط من التوتر وقال: لا يوجد بها شئ غريب، فلماذا كنت خائفة؟ ردت بدهشة وهى تبتلع ريقها: ماذا؟

وتناولت منه الحقيبة تفتش بها وهى مصدومة تتساءل في سرها: أين الحذاء الأحمر؟ أين هو؟ أين اختفى؟

لم تجده فتوترت أكثر وسارت في إتجاه السلم تكاد تتعثر وهى تسير بخطوات تخلو من الاتزان وترتعش وهو يلحق بها ويقول بعطف: إذا كنتِ مرهقة لماذا لا تأخذين إجازة لعدة أيام، تبدين مجهدة وعيونك ذابلة وكأنك لم تنامي منذ عام.
فردت عليه وهى تستمر في صعود الدرج دون أن تلتف إليه وهو يسير خلفها: أعرف أن صحتي لا تشغل بالك على الأطلاق فكف عن التظاهر بذلك.

توقف عن اللحاق بها وهو يزفر ثم نظر لها بعطف وهى تغادر اخر درجة من السلم وتنعطف في الممر بين غرف الطابق الثاني. سارت حتى وقفت أمام غرفة النوم فشعرت بأن شئ ما يجعلها كئيبة إلى قلبها فتابعت السير إلى غرفة العزلة في نهاية القصر وزوجها ينظر لها من نهاية الممر وهى تدلف للغرفة ويقول: يا الله سامحني، ماذا أفعل؟

ولجت غرفتها ووضعت الحقيبة على السرير بغضب وفتحتها تفتش بها غير مصدقه أنها فقدت الحذاء، فتشتها ثلاثة مرات حتى كادت أن تمزقها، فألقت بها بغضب على الأرض ثم جلست على السرير ووضعت يدها على وجهها لبعض الوقت، ثم نهضت وفتحت الدولاب تخرج ملابس المنزل لتبدل ملابسها.

تناولت البلوزة وشدت البنطال فسقط شئ ما من الدولاب على الأرض مُحدث صوت قوي، نظرت للأرض.
فإذ بالحذاء الأحمر ساقط على الأرض!

صرخت وتركت الغرفة وركضت للخارج، سمع زوجها صرختها فهرول إليها وامسكها في المدخل بين الغرف وهى خائفة قائلًا: ماذا حدث؟ لماذا تصرخين؟

ردت وهى تلهث وانفاسها مضطربة ويعلوا صدرها ويهبط وبكلمات متقطعة قالت: عثرت على حذاء أحمر بين الأثار و.. وضعته في حقيبتي الكبيرة .. التي فتشتها منذ قليل وقد بحثت عنه في الحقيبة ثلاث مرات ولم أجده ثم... ثم...ثم فتحت الدولاب فوجدته يسقط منه! أمسك بيدها بقوة وشدها بهدوء وهو يسير قائلًا: تعالي لأرى أين ذلك الحذاء؟

دخل الغرفة وبحث أمام الدولاب وداخله وفي كل شبر بالغرفة ولم يجد الحذاء وهى جالسة على السرير تنظر للأرض وتشعر بالخجل ، جلس بجانبها على السرير وهى تقسم له أنها رأت الحذاء منذ قليل، فوضع يده على كتفها ويده الثانية على خدها وهو ينظر لوجهها المتوتر وقال: هل حدث معكِ أي شئ غريب في الأيام الماضية غير تلك الحقيبة؟
ردت بصوت متقطع: شيء غريب، لا أفهم ماذا تقصد؟

أحمد وهو يطالع عيونها: أي شئ غير معتاد فتاة تحاول التحدث معك أو التشاجر، رأيتها في مكان ما تتنقل في القصر، زارتك في الحلم، أي شئ من هذا القبيل. تذكرت كل شئ ولكن تردد في أذنها عبارة واحدة فقط "لو أخبرتي أحد عني حتى لو كان زوجك الذي لا يحبك فلن اخبرك عن مكان الأثار والذهب، لن اخبرك عن مكان الأثار والذهب، لن اخبرك..

قطع تفكيرها زوجها وهو ينتظر الإجابة ويهزها من كتفها برفق فردت وهى تنظر بعيدًا عنه: لا، كل شئ طبيعي لم أري أي شئ غريب غير تلك الحقيبة التي حرقتها والحذاء .

اخذ نفس عمق وقال: الحمد لله إذن ما يحدث لكِ قد يكون مجرد إرهاق من كثرة العمل والضغوطات، يمكنك الذهاب لطبيب نفسي أو إجازة صغيرة وينتهي الأمر.

احتضنت كتفه واسندت رأسها عليه فاستلقى على السرير فنامت بجانبه وغطت في نوم عميق من الإرهاق الشديد في ثواني معدودة، فتحت عيونها لتراه يجلس في نفس المكان وهو يبتسم لها بخبث وقال: حافظتي على سرنا ولم تخبريه. ردت وفي عيونها بعض القلق: كيف عملت ما حدث؟. عبث برأس عصاته الذهبية في الرمال وقال: أعلم الكثير من الأسرار وساعلمك إياها إذا أردتي.

آسيا بلهفه: اخبرني إذن عن الحقيبة والحذاء .

رع مسيس دون أن يلفت لها ويلهو بعصاته في الرمال: كلاهما لنفس المرأة.

آسيا: ومن تكون؟ ولماذا مقتنياتها بين مقابر الأجداد؟ ولماذا اختفى الحذاء؟ ولماذا غضب زوجي عندما رأي حقيبتها؟ ما علاقته بصاحبتها؟

رد ساخرًا: ترغبين في معرفة كل الأسرار مره واحده. آسيا وهو تحاول أن تتمالك نفسها: لم تقل أنك تعرف الكثير من الأسرار ؟ نظر لها بخبث وقال: زوجك أيضًا يعلم، لماذا لا يخبرك؟. اندهشت وقالت: أهو يعلم إجابة كل ما سألت عنه؟ كيف؟

رد بدهاء: اسأليه. ردت بغضب: ولماذا لا تخبرني أنت؟ ألم تقل أننا أصدقاء.

فنظر لها وابتسم بخبث وهو يتأملها قائلًا: أجل أصدقاء، وأشار لها بالاقتراب بعصاته الذهبية وهو جالس على الصخرة.

****

الفصل التاسع

أشار لها بالإقتراب بعصاته الذهبية وعيونه تلتهمها والإبتسامة الخبيثة لم تغادر وجهه، فكتمت غضبها وذمت شفتيها ونظرت له باحتقار وهزت برأسها بعنف قائلة: لا أنا فتاة شريفة ولن أخون زوجي. فغضب وتغير لون وجهه للأسود الداكن وكأنه انقلب إلى رأس اتوبيس وقال: إذن اسألي زوجك عن الأسرار والألغاز.

واختفى فجأة ولم تتبقى حتى عصاته وانقلبت الصحراء حولها من النهار إلى الليل، فصرخت واستيقظت مفزوعة فلم تجد زوجها بجانبها، وشردت تفكر في الحُلم وكيف غضب اختفى ولم يزورها في الأحلام لأسابيع وتوقفت الحفريات التي تقوم بها عن العثور على أي أثر جديد، وجلست في غرفتها مجددًا نادمة على اغضابه، احضرت كراسة الرسم وأخذت ترسم وترسم، فوجدت نفسها ترسم بسرعة بشكل غير طبيعي وكأن أحدهم يمسك بيدها ويرتدي أصابعها مثل القوفاز ويرسم سريعا على الورق، وعندما انتهت من الرسم نظرت لما رسمت واتسعت حدقة عيونها وحدقت بالرسمة أكثر وهى تبتلع ريقها.

وجدت نفسها رسمته بدقة! كما ظهر لها في الحلم بذيه المصري وتاجه وعصاته الذهبية. نظرت للرسمة بغرابة وهى تطالع أناملها كيف رسمته بدقة؟! فهى لم تُجيد الرسم يومًا! عيونه في الرسمة تنظر لها، تنظر في عيونها مباشرة، سمعت صوت الباب يفتح...

توترت والقت بالورقة في الدُرج بجانب السرير بعدما دلف زوجها للغرفة ووقف أمامها، ونظر لها وقال: لم تعودي إلى غرفة نومنا رغم أننا لسنا على خصام وأصبحتِ تخفين الكثير من الأشياء عني وكأني لستُ زوجك، وماذا أخفيتِ في الدرج الأن؟ هزت برأسها وقالت بتوتر وهى تنظر له بقليل من الخوف: لا شئ. لم يكترث لما قالت وفتح باب الدرج وأخرج الرسمة ثم حدجها بتجهم وقال: تتهمينني بأنني لا أحبك وتلومينني على تقصري في حقك وأنت خائنة، من ذلك الشاب؟ ردت بنفور: أنا لست خائنة. فأمسك بكتفها بيده اليمنى وهزها بعنف وقال: خائنة أخبريني من ذلك الشاب وإلا قتلتك وفضحت أمرك أمام جميع الناس، من ذلك الشاب الذي قمت برسمه؟ نزلت الدموع من عيونها وقالت: لم أرسمه فأنا لا اجيد الرسم وهو ليس بشاب أنه فقط مجرد وهم، انظر له أنه من مصر القديمة هل يوجد أحد منهم على قيد الحياة؟

ونظرت للرسمة وهى ترفعها في وجهه غير غير مصدقه عيونها! الرسمة لنفس الشاب
ولكنه فتى عصري يرتدي بذلة ويضع نظارة فوق رأسه ومبتسم وكتب بجانب الرسمة "احبك" باللغة العربية .
عجزت عن النطق لثواني وزوجها يطالعها بغضب وتشاجر معها ومزق الرسمة وظلت تقسم له ولم يصدقها وفي نهاية اليوم كانت في منزل أبيها مطرودة من منزل زوجها بعد مشاجرة عنيفة ومتهمة من الجميع.

****

جلست طوال الليل في غرفتها بمنزل عائلتها وحيدة، عقلها ينفجر من شدة التفكير وقلبها يتمزق من الحزن، شرد عقلها تتذكر ملامح وجهه وهو يخبرها بإسمه ويحدق بها فترى حتى الخطوط الرفيعة الصغيرة على جبهته، زفرت ونهضت من مجلسها وظلت تدور في غرفتها ثم توقفت وتمتت قائلة: سأكتشف من أنت.

اشرقت الشمس من النافذة وارتدت ملابسها وذهبت إلى وادي الملوك وبحثت في كل مقابر الملوك الذين يحملون اسم رع مسيس ولم يكن واحد منهم، عادت لمخازن الأثار وبحثت بين وجوه التماثيل والبرديات المرسومة ولم تجد له شبيه، في نهاية اليوم أصابها الإحباط وجلست بجانب أحد المواقع الأثرية تعتصر عقلها وتفكر في كل ما يحدث لها.

رأت مينا يمر من أمامها بين العاملين فرمقته بنظرة تساؤل طويلة وهى تسير إليه وبعد أن ألقت عليه التحية قالت: أنت تخصصت في السحر في مصر القديمة وبرعت به أكثر من الآخرين، فإلى أي مدى يمكن أن يؤثر سحر القدماء في عصرنا الحالي إذا كان لا يزَل بعضه فعال، وإذا كان لازال قائم فكيف يظهر؟ وكيف اتعرف عليه؟ وكيف اتجنبه؟

هو يعرف إجابة أسئلتها جيدًا ولكن تملكه الفضول ليعرف كل شئ، فهو يشك بها من البداية فنظر لها وقال بابتسامة عريضة: هذا يتوقف على قصة كل شخص فالأمر يختلف من فرد لأخر، أخبريني القصة وأنا سأقدم لكِ أفضل نصيحة.
ردت على سؤاله بعيونها بنظرة شك وقالت وهى تشيح بوجهها عنه: ليس لدى قصة كل ما في الأمر أود تحصين العاملين في الحفريات لو كان هناك خطر عليهم. رد وهو يطالعها بلئم ويضيق عيونه من خلف نظارته: وكيف علمتي أن هناك خطر عليهم؟

ردت وهى تزفر:أقول لك لو، لو، ألم تسمع جيدا؟ أكمل بنفس الفضول الذي يغلف نظارته ويملأ عيونه بل ويكتب على جبهته فيقرائه من يستطيع القراءة وقال: أنت منذ عدة سنوات كنتِ في حادثة اختفاء الفتيات الثلاثة أليس كذلك؟. أدركت حجم فضوله ومكره فانهت حديثها معه وهى تتظاهر بضرورة العودة وانصرفت عائدة للمنزل وهى تشعر أن كل ما في داخلها بحاجه حقًا للراحة والسكينة، عقلها منهك من التفكير، جسدها منهك من البحث، قلبها منهك من الحزن، حتى روحها تائه لا تستطيع أن تجدها .

****

دخلت غرفتها وأغلقت الباب واسندت ظهرها عليه ومالت برأسها للخلف وأغلقت عيونها وما أن لامست الباب حتى سمعت طرقات مرتفع عليه فزعت وفتحت الباب فوجدت والدتها تقف وتطالعها بوجه عابث، اتجهت صوب الدولاب تغير ملابسها ووالدتها تلحق بذيل بطرف ملابسها تود أن تفتح الحديث معها بشأن زوجها وهى تتجاهلها، فظلت تتحدث عن

الزوج وأنه نعمة من الله علينا، و عليها الحفاظ عليه، ولماذا لا تتصلي به وتعتذري له؟ أو تذهبي إليه إذا لم يُجيب و..و...و...و....و. لا تتوقف عن الحديث أبدًا.

وآسيا لا ترد وتخلع حقيبتها وتنزع حجابها وحذائها بملل وبرود، فصمتت والدتها على مضض وهى تحدق بها بتجهم ثم قالت: خذي هذه الرسمة ظلت تتطاير طوال الوقت وأنا أرتب الغرفة وتطير هنا وهناك كالشبح. استدارت لها آسيا فوجدتها تضع ورقة كبيرة على المنضدة خلف الباب وتنصرف وتصف الباب خلفها بضيق وهى تلقي بنظرات الغضب عليها، وآسيا تنظر للورقة بتعجب.

رسمة! أنا لم أرسم أي شئ هنا! ومدت يدها بشك وأمسكت بالورقة. إنه هناك بنفس الهيئة والرسمة التي رسمتها في القصر ينظر لها وكأنه يتحداها. غضبت وهى تحدق في عيونه وقامت بتمزيق الرسمة وألقتها بعيدًا وهى تقول: لقد مزق زوجي هذه الرسمة، لقد مزقها.

جلست مرة أخرى على السرير تطالع الرسمة الممزقة بغضب، فشاهدت الورقات الممزقة تتجمع معًا وتلتحم وتعود الرسمة كما كانت، اتسعت عيونها ووضعت يدها على فمها قراته يخرج من الرسمة ويجلس على الكرسي بجانب الباب وهو يرمقها بنظرات العتاب ويمسك بعصاته الذهبية. مسحته وجهها بكفيها وقالت تتحدث إلى نفسها: أنا أحلم، أنا في حلم. رد هو : لا، لقد مضى زمن الأحلام وحل زمن الحقيقة.
ردت وهى تمسك رأسها وتعتصرها بكفيها: أنا أتوهم، أنت مجرد وهم، أنت لست حقيقي فقط يخيل إلي.

رد بثقة وهو ينظر في عيونها مباشرة: بلى، أنا الحقيقة الوحيدة في حياتك، انظري حولك من الذي يحبك غيري؟ زوجك لا يحبك وتزوجك لمصلحة خلفها سر ولا يخبرك به، والدك يحب أشقائك الذكور وأنتِ لا، وكل عائلتك لا أحد منهم يحبك. وطالع الغرفة بخبث وتابع قائلًا وهو يشير بعصاته: كنت حاضرًا يوم ميلادك كم كان الحزن يملأ هذا الدار عندما أنجبوكِ لأنك انثى . نهضت وصاحت به بسخط بوجه محتقن: توقف، أنت تكذب، أنت كاذب.

ابتسم بسخرية وألقى بعصاته الذهبية في الهواء فدارت العصاة وصنعت كرة من الدخان حولها وظهر بها والدها يجلس أمام أحد غرف منزلهم على الكنبة وبجانبه طفلين والقلق ظاهر على معالم وجهه ثم نهض وسار عدة خطوات وهو يفرك كفيه بينما صوت صراخ امرأة تتألم يأتي من الغرفة، وصل إلى نهاية غرفة المعيشة ثم عاد يسير بنفس الهيئة والقلق وعندما كان أمام باب الغرفة فُتح بابها فتوقف وأسرع نحو الباب قائلاً: ماذا وضعت؟

أجابت المرأة بتردد وهى تحاول الابتسام وتحمل لفة قماش في يداها بحرص: عروسة مثل القمر، ورفعت الطفلة بحذر تقربها له لينظرها، فاستدار بغضب وغادر المنزل، عادت القابلة وهى تحمل الطفلة ووضعتها بجانب والدتها على السرير ووالدتها وهى تبكي في مخاضها وتقول: زوجي لا يُحب الإناث مثل العرب، ثم نظرت للطفلة التي تبكي ولم تحملها، ثم رأت فرحة الجارة في والدتها التي وضعت طفلة وشقيقها وهو يقلد الكبار ويتحدث لشقيقه قائلًا: لا ارغب في أن يكون لي اخت انها عبء ثقيل.

شخصت عيونها وانقطعت أنفاسها وصرخت به وهى تشعر أن قلبها تمزق ما بين الغضب منه والحزن على نفسها وصاحت: أنت شيطان، شبح حقير وسوف أتعلم كيف احكمك واقيدك.

فأشار بإصبعه السبابة بهدوء فصرف الدخان من الغرفة وعادت العصاة في يده ووضع إصبعه السبابة الذي يرتدي به خاتم على شكل ثعبان كوبرا رافع رأسه وطرق به على رأس العصا وقال: أنا صديق للكِ وأنتِ تبحثين عن مساعدة مينا لتعرفي من أكون، ألا تعرفين أن مينا خائن؟ حدجته بنظرة الشك فأكمل: مينا ومحمود من ضمن فريقك وهما خائنان يعملان مع عصابة آثار ويكشفون لها الأماكن التي يحتمل وجود الآثار بها، فتنقب العصابة وتعثر على الآثار وأنتم لا تدرون.

صمتت وجلست تحاول استيعاب ما سمعت لانها في كل مرة تختبر حديثه فتجده حقيقة، فنهض من مقعده وطار في الهواء كالريح ووقف خلفها وانحنى وهمس في اذنها: ولأنك صديقتي سأخبرك بالمزيد، مُحمد وكيرولس اللذان من المفترض

أن يقومان بتسجيل الآثار التي تكتشف حديثا قبل إدخالها للمخازن حتى لا تسرق، لا يسجلونها وبعد إدخالها للمخازن بفترة يقومون ببيع قطع منها لنفس العصابة التي تتاجر بالآثار.

لوح بيده في الهواء فظهرت عاصفة رملية وفي وسطها مينا وهو يشير لرجال أجانب على بعض المناطق وسط الجبال ، ثم يحفر الأجانب ويخرجون الآثار ومحمود يفعل نفس الفعل، ومُحمد وكيرولس يغلقان الكاميرات بالمخازن ثم يسرقون ويعبثون بالدفاتر التي سجلت بها الآثار ليسرقوا المزيد، ويقومان بصنع قطع مزيفه لبعض القطع المسجلة والمعروفة للجميع ثم يضعوها بدلًا من الأصلية ويسرقون الأصلية ويبيعونها للعصابة ، وموظف المطار وهو يقطع الكهرباء ليُهرب القطع الكبيرة والصغيرة اثناء إجازات الموظفين الشرفاء بالتنسيق مع البقية، وغيرها من الأساليب التي لا تنتهي وهى تشاهد مصدومة وعيونها متسعة عن أخرها.

فتحت والدتها الباب وسط عاصفة الرمال التي تملأ الغرفة فتلاشت الرمال في جزء من الثانية بما فيها، فنظرت آسيا للكرسي الذي بجانب الباب تبحث عنه فوجدته فارغًا إلا من الورقة التي عليها رسمته!

وقالت والدتها بنبرة صوت عالية ووجه ساخط: هل ستتناولين العشاء معنا أو فيما بعد؟ ولكن إذا لم تتناوليه معنا فعليك بتحضير العشاء بنفسك، لقد تعبت من عمل المنزل ولا يوجد أحد ساعدني كما في قصرك، كنتِ في نعمة ولم تصونيها.

كتمت غضبها ولم ترد فرفعت والدتها صوتها وهى تشير بأصبعها قائلة: أتحدث إليكِ ولا تبدي أي اهتمام يبدو انني لم احسن تربيتك .

تناولت آسيا هاتفها وزفرت بنبرة صوت مليئة بالاحتقار وعينان تشتعلان قائلة : لن اتناول العشاء مطلقا الآن أو فيما بعد، كما أن الأعمال المنزلية التي تقومين بها من أجل زوجك وأولادك المحببين إلى قلبك وليس من أجلي فلا تمنين علي بعشاءك وعملك. وزفرت زفرة طويلة وقالت بنفس النبرة الحادة: وأنا سأغادر هذا المنزل ولن أعود لزوجي بل سأشتري منزل صغير بأموالي واسكن به وحدي بدلًا من هذا الذل والهوان في كل لحظة.
وغادرت الغرفة بعد أن صفعت الباب تاركة والدتها في ذهول من وقاحتها.

****

أبلغت أحد ضباط الشرطة الموثوق بهم في وزارة الآثار بمعلوماتها وقاموا بمراقبة مينا ومحمود وأحمد وكيرولس وقبض عليهم متلبسين وحصل الضابط وآسيا على ترقية وأصبحت محل ثقة الجميع.

****

بعد مرور عام

كانت في منزلها الصغير الذي اشترته في نفس المنطقة التي تسكن بها عائلتها ليسحموا لها بالمكوث به ولكنه مكان منعزل لا تصل له بسهولة، جالسة داخل المنزل على أريكة سوداء اللون منقوشة حوافها بنقوش انوبيس، تقرأ في كتاب الموتى وتطالع عيونها البنية المكحلة وينتهي ذيل حكلها بالقرب من الأذن من فرط طوله المكان حولها وتبحث عنه، تتوقع ظهوره في أي لحظة، لم يأتي بعد فتنهدت وعادت تقرأ وتقلب صفحات الكتاب وهى ترتدي خواتم كلها منقوشة بنقوش مصرية تماما من القلادة والقرط وكلها داكنة اللون، ديكور المنزل بأكمله ديكور مصري قديم ولكن أسود اللون مما يجعل الإضاءة ضعيفة في كل جوانب المنزل. تماثيل سوداء لانوبيس تقف منتصبة في كل زواية من زوايا المنزل، ظلت تراقب هنا وتنظر هناك في كل ركن، وتتساءل: هل سيظهر هنا؟ هل سيأتي من هناك؟ بأي شكل سيظهر؟ انوبيس، أم ست، أم باستت (على شكل قطة سوداء) ؟

وناهد الفتاة التي تقوم بالتنظيف تشاهدها بغرابة وهى لا تكف عن البحث عن شئ ما! فقالت: سيدتي هل تبحثين عن شئ؟ أخبريني أحضره لك أو ابحث لك عنه حتى أجده. حدقت بعيونها المرسومة بالكحل الأسود في ناهد بريبة وهى تفكر ثم قالت: اذهبي يا ناهد باقي اليوم إجازة لكِ، هيا هيا إلى منزل عائلتك ولا تعودي إلا في الغد.

واخذت تشد ناهد من يدها وهى تسير بها إلى باب المنزل والفتاة تنظر لها بغرابة قائلة: الطعام على النار سيحترق يا سيدتي. آسيا بدون اكتراث وهى تستمر في سحبها: لا عليك سوف أطفئ أنا الموقد، لا تعودي إلا في الغد.
اخرجتها وأغلقت الباب ووقفت خلفه باسمة وقالت: لا يوجد أحد في المنزل ونفذت كل ما أمرت به.
وأشارت للشموع قائلة: مصنوعة من دهن القطط والخنازير وخيطها مصنوع من الكتان هى والستائر، كل شئ أسود اللون فهو لون الجنائز وقد ذبحت افراس النهر أمام تمثال ست، وأغلقت المكتبة التي تحتوي على كتب السحر في مصر القديمة وأخفيت كتبها، ماذا تريد غير ذلك؟

بعد لحظات من الصمت وتطلعها حولها ظهر خيط دخان رمادي رفيع يتحرك مثل البخار وبدأ يزداد في السُمك ويتغير لونه للأسود فراقبته بإهتمام ووجه باسم إلى أن كون سحابة وفي سقف الغرفة ثم هبطت للأسفل واختفت فظهر هو جالس متربع على الكنبة برداء طويل على غير عادته وقد أصبح لونه أسود كحجر الديوريت وحوله الشموع مضيئة وضوئها خافت وقال:...

****

الفصل العاشر

ظهر متربع على الكنبة برداء طويل على غير عادته وقد أصبح لونه اسود كحجر الديوريت وقال: ظل شئ واحد وسأخبرك بالمزيد والمزيد من الأسرار. ردت بلهفه وعيونها مشتعلان من الفضول: ما هو؟
رد وهو يلهو بعصاته الذهبية المعلقة في الهواء يحركها بأصبع السبابة: لأنك صديقتي سأعطيكِ الاختيار أما أن تقدمي أحمد لي كقربان أو تنفصلي عنه. ما سمعت أفقدها توازنها وشهقت وتلفظت بصدمه قائلة: أحمد؟ زوجي. وأكملت وعيناها منصبتان عليه: كيف افعل ذلك به؟. رد بدهاء وعيونه السوداء تخيفها نظراته بعض الشيء: هل أحمد من ساعدكِ لتصبحي وزيرة الآثار والسياحة أم أنا؟ وأشار على نفسه بالسبابة بغرورو.

أجابت بتردد وهى تحاول ابتلاع ريقها كصخور جافة: أجل لكن ... تلعثمت في الحديث وبحثت عن الهواء لتلتقط انفاسها ثم تابعت بوجه متعرق : لكنني لم اخونه ولن اخونه ولا علاقة له فيما تطلبه مني من أشياء انفذها، فكيف أقدمه كقربان وهو زوجي؟! هذا مستحيل. قالتها بنظرة استعطاف.

أكمل بنفس المكر: إذن هناك الاختيار الثاني. شردت تفكر ثم قالت بضيق وهى تتحسس صدرها بكفها بشكل دائري وتشعر بثقل يجسم عليه : الطلاق. نهض ودار حولها كالدخان وقال: منذ عام عندما اتهمك بالخيانة وانتما منفصلان لم يكلف خاطره أن يصالحك أو يعتذر لكِ عن سوء أدبه معكِ وأنت بريئة من تهمته، فلماذا تصرين على البقاء معه؟ أجابت بتوتر وهى تراقبه وهو يتحول من دخان إلى نار ثم إلى ثعبان ولا يثبت على شكل واحد: وإن انفصلت عنه لن ارغب في الزوج مرة ثانية. تحول إلى انوبيس وجلس على الكنبة وتربع وقال: لا بأس، لا تتزوجي ولكن انفصلي عنه.

استدارت له بعد أن كانت تتلفت وتراقبه في تحركه وقالت: أخبرني عن مكان المقبرة التالية وسأنفذ ما تطلب مني كما نفذت ما طلبته من قبل.

****

بعد عدة أيام وصلت للاكتشاف التالي وسجل إنجاز جديد في مسيرتها المهنة بإسمها ووصفها البعض بأنها سمراء الوادي التي تسحر القدماء بعيونها فيخرجون من مخبأهم لرؤيتها، ولكن اتفاقها مع رع مسيس سلب منها فرحة الاحتفال به، لم تكن تتوقع عندما حانت لحظة طلبها للطلاق لتنفيذ الاتفاق أن تكون بهذه الحالة من التردد والخوف من الانفصال عنه، ظلت صامتة أمام المحامي الذي ذهبت له وهى تمسك بالأوراق لتوقع على دعوى الخلع وترتعش أصابعها، فترفع

ناظريها عن الاوراق لتهرب قليلًا وتتنفس للحظات، تستحضر أمامها صورة كليهما رع مسيس وزوجها، أخرجت زفير طويل وأغمضت عيونها لاحظة ثم تركت الأوراق وغادرت المكتب دون أن توقع أو تنبذ بكلمة.

تنازع نفسها وهى تقود السيارة وتلوم نفسها قائلة كان ينبغي أن اوقع لإغلق الباب على هذا الزواج واطوي صفحته من حياتي بل أقطعها من دفتري، ثم توقفت بالسيارة وهى تغالب دموعها.

لا تود أن تعترف لنفسها أنها تود أن تترك الباب مفتوح ليعود لها، وظلت تعتصر عقلها في التفكير فيما ستفعل لتتملص من اتفاقها مع رع مسيس بالطلاق.

****

بعد عدة أيام كانت تقوم بطقوسها اليومية في الظلام رغم أنه لم يأتي لزيارتها منذ اللقاء الأخير وهى ترغب في أن يأتي وفي ألا يأتي، وتخشى أنه قد هجرها، لكنها تتابع القيام بالطقوس تحرق البخور، ترتدي الأسود وتتلو تعاويذ وطلاسم غامضة عندما سمعت أحد يطرق الباب.

أغمضت عيونها للحظة وهى ترفع يدها اليسرى للأعلى فرأت رينايَ تقف أمام المنزل وتبدو خائفة تنظر حولها بريبة للمكان الغريب وتطرق الباب بقلق وترن الجرس. فتحت عيونها وقالت: رينايَ! ما الذي جاء بها؟ ومن الذي أخبرها بمكان سكني؟ مسحت بعض الكحل من عيونها لتخففه وأطفأت البخور والشموع وأضاءت المصابيح وفتحت لها وبعد أن تبادلا التحية جلست رينايَ وهى تحدق حولها للمنزل الغريب المريب ثم توقفت وعيناها منصبتان خلف الكنبة التي تجلس عليها آسيا حيث يوجد تمثال لانوبيس وأمامه منضدة صغيرة، ظنت آسيا أنه ظهر لها فقالت: هل هناك شئ ما؟

ردت رينايَ وهى تحاول التظاهر بأنها طبيعية لكِ لا تبدو سخيفة بتفحصها المنزل بهذه الطريقة الفضولية وقالت: لا، لا شئ، الديكور سحب عيوني قليلا لأنه غريب.

قطعت حديثها ثم تابعت بتلعثم: أقصد...أنا، اخذت نفس عميق وأكملت، أعلم أنكِ تحبين الآثار وأصبحت الوزيرة لكن الأمر مبالغ فيه قليلا فكل شئ في المنزل يبدو قد خرج من المقبرة للتو. أنهت كلمتها وهى تلمس أنفها بظهر يدها من رائحة البخور النفاذة. أرادت آسيا أن تغير الحديث عن المنزل حتى لا ينزعج صديقها الشبح فقالت: هل ترغبين في كوب من العصير أو القهوة؟ بلعت رينايَ ريقها وهى تمسك بحقيبتها التي تضعها على قدميها وتحتضنها وتختبئ خلفها قدر الإمكان وتنظر حولها قائلة بتشتت: ماء، كوب من الماء.
نهضت آسيا تحضر الماء وما أن وصلت لنهاية الغرفة حتى شعرت رينايَ بالخوف فوقفت وهى تناديها: آسيا لا أريد أي شئ فقط أرغب في الحديث معك. ضحكت آسيا وتناولت زجاجة ماء كانت على منضدة بجانبها وهى تمر وعادت وجلست بجانب رينايَ تسألها كيف حالها وما إلى ذلك من أسئلة معتادة لتهديء من روعها فهدأت وتابعا الحديث ثم تحولت أسئلة رينايَ إلى: لماذا تنعزلين عن الجميع؟ ولماذا تسكنين بمفردك ووالدتك تشتكي منك وأنا منذ فترة اطلبك على هاتفك فأجده مغلق و...و..و... وآسيا شاردة عنها وعن حديثها وهى ترى قطة سوداء كبيرة تسير في المنزل وتعلم حقيقتها والقطة تتجول وعيون آسيا تراقبها خطوة خطوة وكأنها تسير معها حتى صمتت رينايَ وهى تحدق بجانبها فقالت آسيا: لماذا صمتِ؟ ردت وهى تشير بأصبعها بخوف على المنضدة التي بجانبها وكأنها تخشى أن يلتهمه أحد وقالت: تلك القطة السوداء مرعبة، منذ متى وأنت تربين القطط؟ كنت تبغضينها بشدة! فزعت آسيا وتقلقلت في جلستها وتلفتت حولها وقالت: رينايَ هل ترين قطة سوداء هنا؟

ردت بريبة: أجل هناك قطة سوداء على المنضدة هل... قطعت حديثها ثم أكملت وهى تتعرق: ألا ترينها؟ وحدقت بها وقالت: آسيا لا تمزحي لتخيفيني أنا لن أتحمل هذا المزاح. ثم اتسعت عيونها وسألت: أم انكِ جادة فيما تقولين؟ ردت آسيا بسرعة: لا، لا تخافي بالفعل كنت امزح أنا أراها انها قطتي واحبها بشدة. قالتها وهى تنظر له ترجوه بعيونها أن يتوقف. توترت رينايَ وهى تراقب القطة ونظرتها ل آسيا وتحديق آسيا بها كل شئ حولها فنهضت وهى تمسك بحقيبتها قائلة: كل شئ في المنزل يخيفني حتى الرائحة كرائحة بخور الأموات أنها قوية وتصيبني بالغثيان، هل يمكن أن نتحدث في مكان أخر رجاء.

****

جلستا وسط ساحة المسجد الأزهر حيث السماء صافية والشمس مشرقة بخفة ونسمات الهواء المنعش تداعب الوجوه برقة وبعض الفتيات يسيرون هنا وهناك في سكينة والإبتسامة لا تفارق وجوههن وقالت ريناي وهى تتنفس بعمق: الآن استطيع التحدث بهدوء، آسيا لو أنني أخطأت معكِ في أمر ما وندمت على الخطأ واعترفت به وعدت معتذرة فهل ستقبلين اعتذاري؟

ردت بتعجب: لكنك لم تخطئ معي من قبل فنحن منذ زمن أصدقاء بل أخوات.

ابتسمت وقالت: حسنًا أنا اتعشم في هذه الصداقة والأخوة وتعودي لزوجك، لقد أخطأ في حقك وندم ومنذ وقت ونحن نحاول مقابلتك وأنت اغلب الوقت بين المقابر أو منعزلة. ردت آسيا وكأنها تتذكر شئ من الماضي البعيد وقالت: أحمد، هل لازال يذكر أن له زوجة. تعجبت ريناي من طريقة قولها للأسم كذكرى بعيده وقالت: أجل أحمد زوجك انتِ تعلمين أنه إنسان مهذب وقد عاد متعذرًا. أدارت وجهها عن ريناي تحاول التهرب منها فقد أصبحت تخشى أن تقوم بأي فعل دون إذن من شبحها، فوجدته واقفا أمامها فشهقت بينما ابتسمت ريناي قائلة: لا تكوني خجلة هكذا وكأنه غريب فنظرت له مجددًا وهو يمسك بباقة من الزهور البيضاء ويبتسم لها في ود مع قليل من الخجل.

أقترب منها كالذي يسعى لجوهرة ثمينة ثم قَّبل رأسها وقال بصوت حنون: أنا آسف يا آسيا ما كان علي أن اشك بكِ وأنت فتاة العفة والأدب، سامحيني يا حبيبتي لن اخطئ في حقك مرة أخرى وأعدك أنني سأعوضكِ عن كل الأيام السابقة.

لحظات من الحب الذي شعرت بصدقه في كل كلمة نطق بها، وكل نظرة من عيونه وكل لمسة يد بطيبة ربتت على يدها وكتفها أذابت سنوات من الثلج والتجاهل والشجارات، فعادت معه وهى راضية ومستعدة للتخلي عن كل الكنوز التي كانت في انتظارها، فكل الكنوز التي عثرت عليها كانت كالأصنام لم تجد بينها الحُب، فالحب كنز أخر يوجد بين البشر أصحاب القلوب الطيبة لا بين الحجر والذهب.

اخذت اجازة من العمل وذهبا في شهر عسل جديد بطعم الحُب الذي افتقدته في شعر العسل الاول، وتلون كل ما في حياتها بلون السعادة بعد أن كان بلون المال والشهرة وبدون طعم، حكت له كل قصص الحب في مصر القديمة وعادا إلى قصرهما من جديد. لم يمر على عودتها للقصر يومين حتى شعرت بالضيق من غرفة نومها فغيرتها وانتقل نفس الشعور معها ومع زوجها إلى أي غرفة ينتقلون لها في القصر. اقترب موعد ذكرى زواجهما وهذا اول ذكرى زواج حقيقي تنتظره، ففي السابق كانا يتظاهران بالحُب في ذلك اليوم مع هدية ثمينة يغلق بها عيونها عن الاستماع لقلبها المشكك، ولكن هذا العام ولى التظاهر بعيدًا وظل الحُب.

ذهبت لغرفة نومها تخرج فستان زفافها لترتديه في الذكرى، فتحت الدولاب وبحثت ولم تجده، استدعت ناهد وكل الفتيات اللاتي يعملن في القصر وسألتهم: أين فستان زفافي؟. الكل يجيب: لا نعلم يا سيدتي. ردت باتهام: الفستان كان في دولابي وتغيبت عن القصر لعام وأنتن تعملن في القصر، أين الفستان؟. ردت ناهد: أنا كنت معكي في منزل العزلة، ثم شهقت وقطعت حديثها بعدما تذكرت انها جلبتها للعمل هناك سرًا.

اشارت لها بالانصراف واكملت مع الباقيات الشجار: أين الفستان؟ ثمنه نصف مليون، به خمس ماسات هل طمعت واحدة منكن فيه وسرقته في غيابي؟ ولثلاثة أيام تتشاجر مع العاملات على الفستان حتى مضى موعد ذكرى الزفاف ولم تنتبه وجلست غاضبة في غرفة نومها قائلة: ماذا سأرتدي في ذكرى زواجي؟ فستان زفافي هو أثمن وأجمل فستان لدي . عاد زوجها من العمل وهو هادئ وسعيد وبدل ملابسه ومن ثم جلس بجانبها وهى تنتظر أن يسألها لماذا هى حزينة.

أخيرًا لاحظ حزنها فنظر لها وقال: لماذا تبدين حزينة وغاضبة؟ بعد أن كنتِ بالأمس في قمة سعادتك كالملكة متزينة بفستان زفافنا وقضينا معًا ليلة رائعة كليالي ألف ليلة وليلة.

شهقت وقالت: ماذا قلت للتو؟

تعجب من سؤالها ولكنه أعاد على أذنها نفس الكلمات، فنهضت وصرخت به: هل تخونني؟ لم أكن معك بالأمس كنت متعبة وأنت تأخرت في العودة ونمت قبل عودتك وفستان زفافي لم أعثر عليه ومنذ أيام وأنا أبحث عنه واتشاجر مع الفتيات اللاتي تعملن في القصر. فنهض وقال: آسيا هل هذه مزحة؟ توقفي إنها سخيفة.

ردت بغضب: أنا لا امزح ولم أكن معك بالأمس ولا أجد فستان زفافي والان جاوبني مع من كنت بالأمس؟ هل تخونني؟

تعلق الغضب بوجهه وقال: لم أخونك وأين هى تلك المرأة التي لا أستطيع تمييزها عنكِ وترتدي فستانك وتنام في غرفة نومي؟ آسيا أما أنك تلعبي معي لعبة ثقيلة أو اصابك الزهايمر أو الجنون.

أشارت للدولاب وقالت بتحدي: أخرج لي إذن فستان زفافي الذي كنت أرتديه .

سار إلى الدولاب بتؤدة وفتحه و...

****

الفصل الحادي عشر

أشارت للدولاب وهى تقول: أخرج لي إذن فستان زفافي الذي كنت أرتديه. سار للدولاب بتؤدة وفتحه وأخرج الفستان أمام عيونها وألقاه على السرير ورمقها بنظرة سخط وقال: لا تلعبي معي هذه اللعبة مرة ثانية لم تعجبني .
وتركها بعد نظرة احتقار وهى غارقة في الذهول تقلب في الفستان وتمسك به تشده بيدها لتتأكد أنه حقيقي.
هبطت درجات الدرج وهى تهرول ثم رنت الجرس بعنف لتجمع كل العاملات في القصر ولم يتبقى لها حبة خردل من الصبر ولا العقل وقالت: هل أي واحدة منكن رأتني وأنا ارتدي فستان زفافي؟. غرقت جميع العاملات في ذهول المستنكر من سؤالها والريبة في عيونهم ونظرت كل واحدة للأخرى تتأكد مما سمعت .
ثم ردت ناهد بصوت مهزوز وحذر وقالت: سيدتي منذ أيام وأنتِ تقولين أنه مفقود وتتشاجرين معنا عليه فكيف كنت ترتدينه؟ هل تقصدي أنكِ عثرتي عليه؟

تنفست بعمق ووضعت يدها على صدرها وأغمضت عيونها لاحظة ثم فتحتها وقالت: إذن لم يراني أحد أرتديه؟ هذا فقط ما أود السؤال عنه. اومأت ناهد والعاملات رؤوسهن وتحدثوا جميعًا معًا : لا لم نراكي ترتدينه.

فقالت بغضب وهى تعض شفتها السفلى: هو يخونني، يخونني ويهزأ بي، أجل يهزأ بي سوف أذهب و...
فُتح باب القصر فقطع صوت الباب تهديدها وهو يفتح ويدخل منه أحمد وقد تبدلت ملابسه للمرة الثانية وهى تحدق به في ذهول وغضب شديد تتساءل متى خرج؟ وكيف لم أراه؟ وأين بدل ملابسه؟ ملابسه أين بدلها؟ هل له زوجة أخرى يخونني معها؟. أجل أنه يخونني ويريد أن يصيبني بالجنون لكي لا اكتشف خيانته.

كل ذلك الحوار دار في عقلها وهو لم يتجاوز أول خطوتين خلف باب القصر، أسرعت إليه فظنها ذاهبه لاستقباله كما تفعل فابتسم لها وفتح ذراعيه فدفعته بيدها وهى تصيح به: كاذب، ها أنا قد سألت الفتيات عما قلت ولا توجد واحدة منهن رأتني وأنا ارتدي فستان زفافي. صُدم من ردة فعلها معه وشعر بالخجل أمام فكظم غيظه وقال: عن أي شئ تتحدثين؟ لا أفهم أي شئ مما تقولين؟. صاحت به بوجه مكفهر وهى تكرر ما قد قاله لها بالغرفة وما حدث بينهما . نظر لها بذهول وقال: آسيا حبيبتي كيف كنت معكِ وتحدثت لكِ منذ قليل وقد عُدت للتو من العمل انظري إلي. وهو يشير لملابسه ولمفتاح السيارة ويكمل: حضرت للتو من الشركة وبالأمس جئت في وقت متأخر وكنتِ نائمة فلن اوقظك لكِ لا أزعجك وذكرى زفافنا في الغد وليس بالأمس، إذن فما هذه القصة الغريبة التي ذكرتها الأن؟! صاحت به ودمها يغلي في عروقها: توقف عن التلاعب بي، أنت تود أن تصيبني بالجنون لكِ تخونني .

وفي لحظات تحول النقاش الحاد إلى شجار أمام الجميع وهى تتهمه قائلة: بلى أنت تخونني وقد أحرقت الحقيبة النسائية ورفضت أن تخبرني من تكون صاحبتها وأنت تعلم، أنت خائن. فرد بغضب: وهل أخبرتني أنتِ من هو صاحب الرسمة الوسيم الذي قمت برسمة وكتبت على الرسمة أحبك بالعربية؟ أو أخبرتني لماذا كنت تعيشين في منزل بمفردك أثناء انفصالنا؟ أم هناك شئ تودين اخفاءه عن الجميع وخاصة أنا؟

وظل الشجار قائم واشتد واحتدم حتى ذهب الاثنان يشاهدان شرائط الفيديو التي سجلتها كاميرات القصر فوجدوا الفيديو لم يسجل سوى خروجه من القصر في الصباح ثم عودته منذ نصف ساعة! فتحجرت في مكانها وهى تطالع الفيديوا وهنا سألها: إذن كيف كنت معك وحدثت تلك القصة الكاذبة التي ذكرتها؟. حدقت بالفيديو وشاهدته ثلاث مرات وهى تعض على شفتيها من الغيظ وعيناها تكاد تخرج من محجريهما وعادت وبحثت في الدولاب ولم تجد الفستان فحدجته بنظرة سخط وقالت: أين الفستان إذن؟ لماذا لا أجده؟ ألم اخبرك أنني فقدته.

رد وهو يفرك كفيه ويزفر وتدور عيناه في الغرفة بضيق: على ما أذكر أن الفستان قمتي بوضعه في غرفة المجوهرات لأنه ثمين وبه خمس ماسات فخشيت عليه من السرقة فاحتفظتِ به هناك ولم تخبري أحد بمكانه سوى أنا.

وذهبا لغرفة المجوهرات حيث توجد الخزنة وخزينة ملابس وعثرت على الفستان، اغشي عليها فوقه عندما رأته، وظلت لأيام وهى خجله من أفعالها، لا تعلم ما الذي حدث لها؟ ولا ما الذي سيحدث؟ تكررت هذه المواقف معها بشكل غريب حتى صارت تمسك في يدها دفتر وتكتب به كل ما يحدث معها لحظة بلحظة وتصور بالهاتف أي شئ وكل شئ، وفي نهاية اليوم قبل نومها تشاهد كل ما صورت وتسجل أي حدث فاتها تسجيله خلال اليوم مهما كان صغير، ثم تقرأه قبل أن تنام لتتذكر كل ما حدث. وفي أحد الأيام فتحت دفتر يومياتها تقرأ ما كتبت خلال اليوم، ظلت تتصفحه وتقرأ على عجل حتى وقفت عند عبارة مكتوبة في منتصف الصفحة بشكل غريب. العبارة تقول.

..أنتِ سارقة سرقتي زوجي مني...

حدقت في العبارة وفركت عيونها غير مصدقة ما قد قرأت وعادت تنظر فوجدتها عبارتين وثلاثة ثم أربعة وخمسة فستة، وملأت الصفحة بها، سارقة، سارقة، سارقة، سرقتي زوجي، سرقتي زوجي.

قلبت الصفحة بتوتر فوجدت رسومات تظهر على الصفحة البيضاء، رسمة ل فتاة ترتدي فستان زفاف أسود بطرحة سوداء ولكن وجهها غير واضح الملامح، لا ترى سوى خيال نظرة عيونها بغضب فتلقي في قلبك الذعر.

ارتعشت أصابعها وأخذت تقلب الصفحات بخوف وكأنها تهرب منها فترى هذه السيدة الغامضة ترتدي الحذاء تارة والحقيبة التي حرقها زوجها تارة أخرى، وترى نفسها بفستان الزفاف بجانب أحمد ونفس المرأة المخيفة بالفستان الأسود تقف من خلفهما وتنظر لهما نظرة مليئة بلهيب الانتقام ثم تشتعل النيران من عيونها.

شعرت برأسها تدور وكأنها دوامة وتدور حولها كل الرسومات التي في الدفتر، فأمسكت بالدفتر وقامت بتمزيقه وأشعلت النار به بدون تفكير.

بدأت النيران تشتعل وتحرقه وتزداد وهى تشاهد بانتشاء وكأنها قد أحرقت المرأة التي تخيفها نظراتها وتهددها كلماتها وإذا بألسنة النيران تزداد فجأة وترتفع لتصل لسقف الغرفة.

فزعت من النيران وتلفتت تبحث عن شيء تطفئ به ألسنه اللهب، رأت مطفأة الحريق في زاوية الغرفة فأسرعت إليها ومدت يدها تتناولها فتحولت المطفأة إلى رماد في يدها ثم تلاشت وسط نظرات آسيا لها برعب . تحولت النيران إلى

عروسة من ألسنة اللهب وهجمت عليها تطاردها. فصرخت وهى تهرب لباب الغرفة ففتح باب الغرفة أمامها من تلقاء نفسه وهجم عليها منه أمواج من النار وانصبت عليها صبا كالبركان.
وهى تستغيث وتصرخ لينجدها أحد تستغيث بالجميع، أحمد، ناهد، ولا أحد ينجدها والنيران تحرقها، فهرولت للنافذة وفتحتها وألقت بنفسها منها وكانت غرفتها في الطابق الثالث.

****

الفصل الثاني عشر

شد أحمد الغطاء عليها وربت على رأسها برفق وهو ينظر لها بتعاطف وهى نائمة في السرير والطبيبة تقول له: المدام تعاني من ضغوطات نفسية شديدة وصلت بها لحد الانهيار، لقد اعطيتها مسكنات لتهدأ من حالة الذعر والجزع التي كانت بها.

رد عليها بحزن: لقد ألقت بنفسها من النافذة ولا نعرف السبب والغريب انها في عملها طبيعية للغاية تمارس كل أعمالها بمهارة وعندما تعود للقصر تكون إنسانة أخرى غريبة. ظل يتحدث مع الطبيبة عن تصرفاتها الغريبة حتى غادرت القصر ثم عاد ليشاهد شريط الفيديو حيث وضع كاميرات في كل غرف المنزل حتى غرفتها التي تعمل بها وتقرأ، لم يخبرها ليتأكد ويراقب الأشياء الغريبة التي تحكيها له.

شاهدها تقرأ في دفترها بإهتمام ثم قامت بتمزيقه وإحراقه وبدأت تدور وتجري في الغرفة كالمجنونة تصل للمطفأة ثم تتركها وتركض في كل شبر في الغرفة وفي النهاية ألقت بنفسها من النافذة لتسقط في حمام السباحة، صورتها كاميرات الحديقة وهى تسقط في حمام السباحة ولم تحاول أن تسبح للأعلى حتى أخرجها الحراس الذين شاهدوها وهى تسقط من النافذة.

عاد لها وهى نائمة في سريرها ولكنها مفتوحة العينين وتحدق بالفراغ وجلس بجانبها وهو يضع يده على رأسها ويربت برفق فقالت: لم تسألني ما الذي حدث معي؟ بدى على وجهه القلق وقال بفتور: وما الذي حدث معك؟
بدأت تحكي له كل ما جرى إلى أن وصلت إلى سقوطها في حمام السباحة فقالت بفزع وهى تتذكر بدقة ما رأت: فرحت عندما سقطت في حمام السباحة ظننا مني أنني سأنجو ولكن ما أن لامست الماء حتى وجدت امرأة بشعة لها أذرع لا تعد من الثعابين السوداء، فأطلقت ثعابينها علي والتفت الثعابين حولي تكبلني كالسلاسل وتسحبني وتغوص بي للقاع إلى أن اختنقت انفاسي ولم أشعر بأي شئ أخر ثم استيقظت فوجدت نفسي نائمة هنا.

صمتت بشكل مثير للشك وهى تنظر له وللفراش وقالت: ولا أزَل أشعر بالاختناق والثعابين في فراشي تزحف من حولي.
وتستمر بالنظر بخوف للفراش والغرفة من حولها ثم لزوجها تستنجد به مما تشعر.

وهو يطالعها بعيون دامعه.

****

عانت عدة أيام أخرى ثم تعافت بشكل تدريجي وعادت للعمل بعد إجازة طويلة ايمان منها ومن زوجها أن عملها يحسن نفسيتها لأنها تعشقه، فوجدت السكرتيرة التي تثق بها تقول لها: دكتورة آسيا هل تسمحي لي بلفت نظرك لأمر هام؟
ردت وهى تقوم بتوقيع بعض الأوراق: بالتأكيد، أنت اكثر المخلصين لي في عملي ونصيحتك تهمني.
تشجعت السكرتيرة وقالت بحماس: أنتِ ناجحة في عملك بشكل غير مسبوق وحققت إنجازات اسطورية ولكن لم تحققي نفس النجاح في علاقاتك مع العاملين في الوزارة الخاصة بنا، لأبد لكِ من تكوين علاقات قوية فالعلاقات مثل القلعة نبنيها في أوقات السلام ونستخدمها في أوقات الحرب. لم ترد آسيا لأنها تفكر فيما تسمع فظنت السكرتيرة أنها بحاجة لقليل من الإقناع فأكملت: الوزير السابق عندما أخطأ في عمله كان على وشك أن يتم إقالته ولكن لقوة علاقته بالأخرين استطاعوا معالجة الخطأ وظل في منصبه لسنوات طويلة. وظلت السكرتيرة تتحدث وتحكي قصص عن فلان وعلان وماذا فعل زملائه عندما... حتى قالت آسيا: حسنًا لو وصفتي المشكلة جيدًا ومحقه فينا ذكرتي فأنت ليس لي أعوان داخل الوزارة فهل لديكِ بعض الاقتراحات لحلها؟

ردت بحماس و اتسعت عيونها وابتسمت: لدي إقتراح رائع... ثم تراجع الحماس قليلًا في نبرة صوتها وهى تقول: لا أمل في إقامة علاقات قوية مع العاملين في الوزارة في الوقت الحالي فمنهم من يشعر بالغيرة؛ لأنك أصغر منهم بأعوام وتوقفتِ عليهم جميعا، أنهم ينتظرون خطأ واحد منكي ليوقعوا بيكِ. ثم عاد الحماس للسكرتيرة في حديثها وهى تقول: الجيل الجديد من العاملين في وزارة الآثار والسياحة والطلاب المتفوقين من كليات الأثار في الصف الرابع هم الأمل أغلبهم سيكونوا في وزارتنا فقط بعد أربعة أشهر من الأن...
قاطعتها آسيا قائلة: ارجوكي ماذا تقترحين بدون مقدمات طويلة؟

السكرتيرة بنفس الحماس: اقترح إقامة عدد من الندوات والفاعليات لمقابلة هؤلاء الشباب والعاملين الجدد، سيكونوا فخورين بمقابلتك وأنتِ بالنسبة لهم معلمة ورمز للنجاح في عالم الأثار، لن يغاروا منكِ على العكس سيشعرون بالفخر وسيلتقطون صورا ويتحدثون عنك على حساباتهم وسيضفون رونق على صورتك أمام الناس.
ليس هذا فقط بل هناك المزيد سيصبحون فريق مخلص لكِ ويدعموك في مشاريعك القادمة، كل ذلك مقابل أن يحتويهم أحد بقليل من الاهتمام بينما هم في بداية الطريق .

قدمت لها السكرتيرة برنامج كامل لكل شئ، أوقات الندوات والفاعليات وتكريم هؤلاء المتفوقين والمؤتمرات والأسئلة التي تتوقع من الطلاب طرحها عليها، وتوالت تلك الندوات في مقابلة الطلاب من كل أنحاء مصر وحققت الهدف المراد فتحمست وحضرت المزيد منها.

وبينما كانت في ختام الندوة الأخيرة لهذا السلسلة تجيب على أسئلة الشباب بهدوء ويجلس بجانبها سكرتيرتها على الجانب الأيمن وعلى الجانب الأيسر يجلس اثنان من الخبراء وينقل التلفاز هذه الندوة على الهواء مباشرة بعد نجاحها وشيوع شهرتها بالوزيرة التي تهتم بالشباب وتشجعهم. كانت تطالع الجالسين في القاعة اثناء حديث أحد الخبراء فرأت في الصف الأول فتاتان ترتديان ذي رسم عليه علم مصر وبين الفتاتين شاب يخفي وجهه عن عمد، وكأنه لا يود أن يرى أحد وجهه، فينظر للأرض ويضع يده على وجهه ورسم أيضًا على قميصه علم مصر.

أخذت تُجيب عن الأسئلة وتسترق النظر له من حين لأخر، حدجته لنظرة ريبة عندما شعرت أن شكل ملابسه قد تغير فرأت مكتوب على قميصه: أنتِ خائنة وسأفضحك. وبجانب تلك العبارة عينان تحدقان بها، تلعثمت في الإجابة وارتعشت أصابعها وهى تمسك بالسماعه فنظر لها من حولها بتعجب فتداركت قولها وصححت حديثها وحاولت أن تعود طبيعية.

عاد الحديث للرجل الجالس على الجانب الأيسر وعادت هي بكل تركيزها تحدق بالشاب، فازال الشاب يده عن جبهته ثم رفع وجهه المنحني للأسفى ببطئ وحدق في عيونها مباشرة..

فوجدته رع ....مسيس.....

آسيا فير رعب تتساءل يا الله لماذا جاء إلى هنا؟. لا، أنا فقط أتخيل.. لا إنه حقيقي ... لا إنه يظهر لي أنا فقط...إنه شبح لا يراه أحد سوى أنا، سأتجاهله ...

فضحك لها بخبث وتغيرت العبارة المكتوبة على قميصه إلى: الجميع يراني وأنا أرى أفكارك واسمعها جيدًا.

مالت للجانب وهمست بتوتر وحبات العرق تتصبب من جبهتها في اذن السكرتيرة قائلة: هل ترين الفتاتان اللتان تجلسان في الصف الأول وترتديان ذي عليه علم مصر؟ أجابت السكرتيرة: أجل يا دكتورة أنا أراهم. نظرت لها آسيا وقالت: هل يجلس بينهما أحد؟

السكرتيرة وهى تنظر للصف الاول: أجل يجلس بينهما شاب.

آسيا وهى تمسح حبات العرق عن جبهتها ووجهها: صفي لي ذلك الشاب بدقة، ماذا يرتدي؟ وكيف يبدو وجهه؟
رمقتها السكرتيرة بنظره غريبه وقالت: يرتدي قميص كتب عليه... فقطع حديثها أحد منظمي الندوة وهو يقول: هناك أشياء غريبة تحدث خارج القاعة، رجاء اذهبي للخارج فورًا وقومي بإنهاء هذه الفوضى.
فنهضت السكرتيرة وغادرت القاعة وتركتها في خوف تنظر ل رع مسيس فتجد المكر في عيونه يزداد ويحدجها بعينان شامتتان وكتب على قميصه: أنا من صنعت نجاحك وأنا من سأدمرك لأنك خائنة، خائنة.

وضعت يدها تتحسس رقبتها فوق الحجاب تبحث عن النفس.

دكتورة آسيا، دكتورة آسيا.....

ذلك كان صوت أحد الجالسين بجانبها يناديها فانتبهت ومسحت وجهها بتوتر وقالت: ماذا هناك؟ وهى تحاول بلع ريقها ككتل من الحجارة. رد الرجل الذي تحدث منذ لحظة : أحد الطلاب لديه سؤال أخير قبل أن نختم الندوة هل تسمحي .

بالكاد نطقت وهى تقول في سرها دعنا ننتهي من هذه الندوة: حسنًا فليتفضل. فقال الرجل وهو ينظر أمامه ويشير: تفضل يا بني. فنهض رع مسيس وأمسك بالسماعة فشهقت وهى تضع يدها على فمها، فنظر لها الرجل بتعجب وهى متوترة وخائفة وتقلقلت في جلستها. فقال رع مسيس بصوت قوي يسمعه كل من في القاعة: آآآسيييييييييييت، لقبك البعض بسمراء الوادي وأنت خائنة الوادي.
فقاطعته قائلة وهى تستجمع قوتها: إسمي الدكتورة آسيا وليس آسيت. ضحك بسخرية وقال وهو يرفع صوته في السماعة ليسمع الجميع: بلى اسمك خائنة الوادي وقد مارست السحر الأسود وتعاونت مع الاشباح لتكتشفي الأثار والذهب. صرخت به: لا، أنت تكذب أنا لم امارس السحر الأسود ولستُ خائنة، أنت تكذب، أنت كاذب...
وتحول غضبها إلى خوف وصوتها للبكاء فصاح بها: ثم خنتي من ساعدك رع مسيس وكل أشباح العالم السفلي سينتقمون منك.

حملقت به بزعر فسمعت صوت سكرتيرتها يأتي من الخارج وهو يعلوا بالصياح والصراخ....

فعادت له تطالعه فوجدت مقعده خالي فنظرت تتحقق مما رأت بعد أن مسحت وجهها بكفيها فرأته يقف أمامها ملفوف بالكتان كالمومياء ولا يظهر ويتحرك سوى رأسه وقال: كل المومياوات التي نبشتِ قبورها عاد أشباحها وحراسها لينتقموا منكي يا خائنة الوادي، يا نابشة القبور، يا خائنة الوادي، يا نابشة القبور. وزاد صوت صياح السكرتيرة من الخارج وكأنها تستغيث، ثم فتح باب القاعة فجأة بشكل عنيف وهجمت منه المومياوات بالعشرات تتجه لها وتطاردها. صرخت وهربت من مقعدها في اتجاه باب القاعة الثاني ففتح أمامها وهجمت منه مومياوات أخرى، فتراجعت للخلف حتى وصلت إلى وسط القاعة والمومياوات تحيط وتهجم عليها من كل جانب.

****

الفصل الثالث عشر

وهجمت عليها مومياوات أخرى فتراجعت للخلف حتى وصلت لوسط القاعة والمومياوات تحيط وتهجم عليها من كل جانب، فوقفت في مكانها مجزوعة جاحظة العينين إلى أين تهرب؟ فصرخت تستغيث وهى تدور وتتلفت في كل جانب ثم أمسكت برأسها وظلت تصرخ وتغمض عيونها إلى أن سقطت مغشى عليها تحت أقدام المومياوات.

في هذه الحادثة لم تكن كاميرات قصرها هى من صورت ولا زوجها فقط هو من شاهد وإنما كاميرات التلفزيون صورت والعالم كله شاهد مباشرة كل ما حدث، لتصبح هى الحدث وكل ما حدث وحديث الناس ليلًا نهارًا.

وتصدرت اخبارها عناوين الصحف ومواقع الاخبار ليس في مصر فقط بل في العالم أجمع.
لعنة الفراعنة تضرب من جديد من امتدت يده على كنوزها،، إصابة وزيرة الأثار بانهيار أمام الكاميرات،، هل لأعداء النجاح دور في تدمير وزيرة الأثار والسياحة حتى وصل بها الأمر للإنهيار،، نوبة من الخوف الشديد تنتاب العاملين في الوزارة بعد تكرر الحوادث الغريبة،،

حتى بعد تعافيها قليلًا كلما حاولت العودة للعمل تحاصرها الكاميرات والأسئلة التي وصلت للمطاردات من الصحفيين، لم تعد تتحمل مهما استجمعت من قوة، هربت من الجميع من كاميراتهم التي تترصدها وأسئلتهم التي تؤذيها وسجنت نفسها في قصرها ولا تعرف ماذا تفعل. ولا حيلة لها فحتى في قصرها لا تستطيع الهروب منه، نامت على سريرها بوجهها الشاحب ودموعها لا تتوقف عن التساقط من عيونها اليائسة.

وأحمد يطالعها بشفقة وهى نائمة مفتوحة العينين بيأس لا ترمش بل تُحدق بالفراغ وقال بصوت خافت وعيون نادمة ووجه خجول: لقد سألتني كثيرًا من قبل لماذا لم تتزوج كل هذه الأعوام الماضية؟ ولماذا تزوجتني أنا، كان يمكنك الزواج ممن هى أفضل مني؟ وكنت أتجاهل إجابة السؤال الاول أو أكذب عندما اجيب عن السؤال الثاني، وقد حان الوقت لإخبارك بالحقيقة.

انتبهت لكلماته فقطعت شرودها ونهضت وجلست ورمقته بفضول ملأ محجريها فقال على استحياء: منذ أن تغيبت نيس خطيبتي السابقة في تلك الحادثة التي كنتِ بها وبعدما اعتقدنا أنها توفيت وأنا احاول الزواج وبمجرد اقترابي من هذه الخطوة تظهر لي امرأة في القصر على هيئة نيس ولكنها بمظهر بشع، اعرف انها خطيبتي ولكن لا أعلم كيف تحولت إلى هذا الشبح المخيف، وتظل تطاردني لأيام وتصرخ في وجهي أنت خائن خائن، وصوتها يخترق آذاني كالرعد.

وتنفس بثقل وتابع قائلًا: ولا أستطيع الفرار منها وكلما ذهب أبي يخطب لي ابنة أصدقائه أو أحد اقاربنا تحدث أشياء غريبة وتفسخ الخطوبة من البداية، وتعود لي بنفس الهيئة ولا تنصرف عني ابدًا لوقت طويل. ذهبت إلى طبيب نفسي لأني ظننت أن هذه مجرد خيالات ولم يفلح علاجه وظلت تطاردني كلما حاولت الزواج، فلما يأسنا من الطبيب النفسي ونفذت التفسيرات العلمية ذهبنا إلى ساحر فأخبرنا إنه شبح سلطه عليك شبح أخر من العالم السفلي، ولم يستطع ذلك الساحر أو غيره ممكن بحثنا عنهم واخذوا منا أموال طائلة أن يطرده ويخلصنا منه، وكُتب علي أن أعيش بدون زواج لسنوات مثلك وأتعذب كلما حاولت أن أتزوج حتى يأست وفقدت عائلتي الأمل في زواجي.
وبمحض الصدفة وقع في يدى دفتر مذكرات ريناي كان في حقيبة شقيقها عاطي ثم حملت الحقيبة في أحد الرحلات ولم استطع أن أحبس فضولي من قراءته، لأنني متأكد أنها ستحكي به ما حدث عندما تغيبت نيس، الجميع كان يبحث خلف ذلك اللغز وكشفت سركم الدفين في مقبرة الساحر. عندها فكرت أن شبح الساحر لم يستطع السيطرة عليكِ وأنتِ في مقبرته إذن فأنتِ الوحيدة التي لن يستطيع الشبح الذي لعنتني به نيس أن يتغلب عليها.
حكيت لعائلتي وكلهم وافقوا على زواجي منك لتتغلبي على اللعنة وكان شرط عائلتي ألا انجب منك وأن اطلقك بعد ذلك.
أدار وجهه عنها في خجل يهرب من عيونها التي رمقته بعتاب تاركا إياها في صدمة اقسى من مصيبتها وعاد لها بوجهه وعيونه غارقة في دموع الندم وقال: وبعد الزواج بفترة ومع كل ما حدث بيننا من تجاهلي لكي ثم عودتك ليكي بعد الخصام الطويل أحببتك بصدق ولم أكن أنوي الانفصال عنك ابدًا وقبل أن تكتمل سعادتي معك وجدت اللعنة انتقلت لكي، كل ما يحدث هو لعنتها، لقد سيطرت عليك. وضع رأسه بعيونه الباكية على ركبتيها وقَبل يدها وهو يقول وقد احمرت عيونه من شدة البكاء:سامحيني أنا السبب فيما يحدث لكي، أشعر بكل ما تشعرين به لأنني عانيت منه، لقد تذوقت الموت من ذلك الشبح يخنقني في اليوم مائة مرة.
ردت بيأس وهى تُطالع الأرض: لا داعي للشعور بالذنب من أجلي فأنا سقطت في اغرائه بإرادتي وكنت أظن أنني أستطيع التوقف عندما أحقق ما اريد وغرتني نفسي بأنني سأكون قادره على ذلك متى شئت، ولكن سرت خلفه حتى أصبحت كالعبدة وعندما يتحول المرء إلى عبد بموافقته يصبح ثمن العودة للحرية مستحيل، كالدخول في حرب والانتصار بها. انتبه هو بدوره لكلماتها ورفع ناظريه متسائلًا فبدأت تحكي له في يأس وخجل كل ما حدث بينها وبين رع مسيس. جزع مما سمع وقال بدهشة: لا يمكنني أن اصدق ما اسمع! إذا كان هو من أخبرك بمكان الآثار ليغريك ويستدرجك ليسيطر عليك وقد عصيته وعدتي لي فغضب عليك وتوقف عن مساعدتك منذ عام بل وهو من يطاردك ويحاول قتلك الآن فكيف لا تزالين تكتشفين المزيد الآثار؟

ضحكت بسخرية بشكل طفيف وقالت: يا زوجي إبليس وهو صغير تفوق على الملائكة ولابد للطالب أن يتفوق على المعلم، ورع مسيس شبح يفكر كشبح ويتصرف كشبح أما أنا فأفكر كعالمة وتعلمت كيف يفكر هو ومن كثرة تعاملي معه اكتشفت بعض أسراره مع اسرار أخرى من الأثار فأصبحت اسلك الطريق بمفردي بدون مساعدته الشريرة .

استسلم الاثنان لصمت بعد الحقيقة للحظات ثم قال: وماذا سنفعل لنتخلص من ذلك الشبح؟ ظلت هى مع الصمت للحظات فأكمل: هل ستتركي مجال الأثار؟ فبعد ما حدث سيكون من المستحيل عليك الاستمرار، الأمر أشبه بأن تبدئي من جديد.

تحول صمتها إلى شرود ثم نظرت لأحد صور الآثار التي اكتشفتها من قبل ومعلقة على الجدار وقالت بعناد : وإن فعلت وتركت مجال الأثار لن يكون ذلك إلا بعد وصولي لهذا الأثر. رد هو مستنكرًا: اكتشاف اخر! ارجوك يكفي ولنبتعد عن كل ما يتعلق به. أكملت وهو عيونها نظرة التحدي: قد ابتعد ولكن بعد ذلك الوصول لذلك الأثر فهو منقذي.

****

عادت للتنقيب وسط سيل من الانتقادات التي وجهت لها والهجوم الشرس عليها من كل الحاقدين وسخرية البعض منها، ويا لها من بيئة تجعل المرء يقدم أفضل ما لديه. لم يمضي على عودتها عدة أسابيع لتكتشف مقبرة أخرى وسط الهجوم الموجه لها بأنها مريضة نفسية ولا يجب أن تظل في منصبها، ليهبط نبأ اكتشافها لمقبرة جديدة كالفيضان الذي أطفأ بركان الهجوم فاخمده، لينفجر بركان آخر في قصرها من زوجها الذي اتهمها بالعودة ل رع مسيس والاستعانة به لتحقيق نجاح جديد وأخذ يلومها بأنها تضحي بزواجهما من أجل عملها.

وبينما الاثنان في شجارهما معا يجلس شخص أخر اجنبي الملامح في يخت فاخر في عرض البحر بمنتصف الليل وهو يمسك بسيجارة ويشربها بغضب ويسحب نفس طويل وكأنه يتمنى أن يمتص روح أحدهم كما يمتص سيجارته فيحولها إلى دخان. وهو يشاهد التلفاز الذي يتحدث عن آخر اكتشافات وزارة الآثار تحت توجيهات أشهر مكتشفة في مصر الدكتورة آسيا. رمق الأشخاص المحيطين به بنظر ازدراء فما قابل نظرات احتقاره سوى غضبهم المرسوم على وجوههم وتمتلئ به عيونهم وتفيض من محاجرها. لهم نفس الملامح الأجنبية الحادة التي لا تشبه المصريين ولا تمت لهم بصلة.

زفر الدخان وقال: تلك المرأة ستتسبب في ستدمر تجارتنا؛ فهى لن تترك لنا أثر لننقب عنه، لقد التهمت الامعاء الذهبية لأرض مصر بمفردها وستتركها لنا خاوية. فرد أحدهم: لا اعرف كيف علمت أماكن كل هذه الآثار؟ لم يسبق لأي أثاري أن وصل إلى هذه الاكتشافات وفي أوقات قصيرة.

وأكمل أحدهم وهو يرمق وجهها على شاشة التلفاز بنفس السخط: أنها كارثة علينا من كل الجوانب، فقد تسببت في القبض على معظم رجالنا الذين كانوا يعملون لحسابنا في الوزارة والقي بهم في السجن والبقية يخافون من التعاون معنا مجددًا بسبب صرامتها في العقاب، فهي تكتشفهم بسهولة تامة وكونت حولها شبكة قوية من كل الأطراف وتزداد قوة يوما بعد يوم، حتى بعد الانهيار الذي تعرضت له أمام الجميع وظننا أنه قضي عليها عادت وبقوة اشرس.

نظر الجميع للرجل الذي يشرب السيجارة، يبدو أنه كبيرهم، ينتظرون منه الحل لتلك المصائب فنهض وسار بتؤدة عدة خطوات و قال: هى أحبت المقابر ونبشتها وقد حان الوقت لتسكنها.

اطفأ السيجارة عن أخرها وهو ينظر لصورة آسيا على التلفاز وهى تبتسم وسط المقبرة.

****

الفصل الرابع عشر

أحمد مستند على الكرسي بيديه ومنحني الرأس بيأس وهى بالقرب منه ، كلاهما كجسدين قد فقدا الروح أو السعادة ولم يتبقى سوى جسد لا يشعر.. ثم رفع رأسه وقال: هذا المنزل الخامس الذي نقوم بتغييره وتتكرر معنا نفس الأمور الغريبة ، إنه يتعقبنا أينما ذهبنا أنا لا أراه ولا يظهر لي ولكن أشعر به في المنزل وأراه في عيونك وأنت خائفة منه عندما أقترب منك. صمتت للحظة ثم قالت بخجل: أجل هو يظهر بجانبك عندما تقترب مني فلا استطيع .... واكملت وهى تغالب البكاء: وكل شئ في المنزل يجعله بغيض إلى قلبي ، افتح الدولاب فأشم بملابسي رائحة الموتى ، أنام على سريري فأشعر بمومياء تنام بجانبي... قطعت حديثها فجأة وكأن شئ اخترق ذاكرتها وتقلب تفكيرها به فقال أحمد: ماذا هناك؟. ردت وتفكر وعيونها بها بصيص من الأمل: ربما سيكون هناك حل ما في وقت قريب. رد هو بضجر: منى هذا الوقت؟ لا أستطيع التحمل يوم آخر.. ردت بتلقائية: بعد أن أقوم بأخر شئ كان علي القيام به منذ البداية منذ أن اكتشفت الحقيقة. قالت كلمتها وهى تنهض وهو متعجب وغير مدرك ما قد قالت .

****

بعد عدة أسابيع

كان أحمد على باب القصر يلوح بيده بابتسامة قائلًا: لدى الكثير من العمل اليوم واجتماع طويل لذا لا تنتظريني على الغداء.

ظهرت ابتسامة على ثغرها وقالت: لا بأس حبيبي أُقدر كونك مشغول رغمًا عنك. أحمد وهو يبادلها الابتسام: اعتني بنفسك ولا تجلسي بمفردك وإذا شعرتي بالضيق أو حدث شيء غريب اتصلي بي فورًا. ردت عليه بابتسامة وهى تومئ برأسها: حاضر . نظر لملابسها وجدها لا تزَل بملابس المنزل فقال: وأنت ألن تذهبي لعملك اليوم أيضًا؟ أم لازلتي في اجازة بعد الاكتشاف الأخير. ردت وهى تشيح بعيونها عنه: لا سأذهب لعمل أخر علي إنهائه اولا .

أحمد وهو يغلق الباب: إلى اللقاء.

كان مشغول فلم ينتبه ويسألها ما هو ذلك العمل؟ بدلت ملابسها وحملت حقيبة ظهر كبيرة وضعت بها أشياء غريبة غامضة ثم نظرت في اتجاه تمثال صغير ل انوبيس وقالت: اليوم سننهي اللعبة يا رع مسيس. ومن بين جميع العاملات استدعت ناهد وقالت: أنا ذاهبة لمنزل العزلة وقد أتأخر ، لا تخبري أحد عن مكاني لأنني ساغلق هاتفي وسيبدأ الجميع بالاتصال على القصر لا تخبريهم بمكاني. بدى على وجه ناهد الريبة ولم ترد وسارت آسيا وهى خلفها ثم قالت: ذلك المنزل مخيف وعندما عشت به كنت أرى كوابيس لا تنتهي وأنتِ كنت تقومين بطقوس غريبة، لماذا تعودين له؟. فنظرت لها آسيا نظرة تهديد فصمتت وهى تفتح الباب وقالت: أقصد كما ترغبين. بجانب السيارة بالخارج ينتظرها الحراس فتأهبوا لمرافقتها فأشارت لهم بيدها بالتوقف قائلة: أنا ذاهبة بمفردي من أجل عمل شخصي لن اذهب للعمل .

وما أن خرجت من حديقة القصر بالسيارة بمفردها حتى ترقبتها عيون كعيون الغربان وأحدهم يخفي وجهه ويقول: حان موعد الثأر. وأمسك بالهاتف ليخبر العصابة بأنها بمفردها وهو يقود السيارة خلفها من بعيد ليراقبها ولتبقى العصابة أبعد بكثير عن أي شُبه أو خطورة قد تكشفها.

رن هاتفه وهو في شركته وعلى الرغم من أنه في اجتماع هام إلا أنه نظر للهاتف وأجاب: ألو ... فتح عيونه وهو مصدوم وهو يقول: متى حدث ذلك؟. غادر الاجتماع بدون أن ينبذ ببنت كلمة تارك الموظفين مغمورين بالاندهاش وقاد سيارته بجنون للمنزل لتخبره ناهد بما حدث وأنها لم تعد حتى الأن وأنها أوصتها ألا تخبر أحد ولكنها قلقة عليها فلم تتحمل غيابها أكثر من ذلك ، وذهب أحمد لمنزل العزلة ولم يجدها، أو يجد أي أثر لها أو غرض من اغراضها يدل على أنها كانت هناك.

أبلغ والده الشرطة عن اختفائها ودخل في دوامة الاستجواب بدون فائدة وبعد عدة أيام من البحث عنها جلس وهو مدمر نفسيا بين عائلته وقال : اختطفها رع مسيس ، اختطفها . نظر له والده ووالدته بريبة ولم ينطقا، فحدق بهم بغضب وقال: صدقوني اختطفها رع مسيس . نظر والده لوالدته التي طالعته بنظرات الشك ثم قالت: ومن يكون رع مسيس هذا؟ ولماذا لم تخبر الشرطة عنه؟ نهض وسار بتوتر ثم وقف وأستند على الحائط بذراعه اليمنى ثم قال بضيق: رع مسيس الشبح الذي سلطته نيس علي من قبل ، إنه يطاردها منذ وقت طويل ، منذ أن تزوجنا كان يظهر لي بهيئة عفريته ويظهر لها بهيئة طفل ثم شاب وفي النهاية أظهر لنا وجهه القبيح كشبح. وقص عليهما بعض ما حدث معهمل فرد والده ببرود: أنها مجرد تهيُأت لقد ولى الشبح وابتعد منذ عامين ، كما أن زوجتك اختفت لاسبوعين قبل زواجكما بسنوات وهذا دليل أن ما يحدث ليس له علاقة بك، لا تشعر بالذنب من أجلها .

راقب أحمد الجميع من حوله في برودهم، لا احد يأبه بآسيا أو يفكر كيف حالها الآن؟ هم فقط يجاملونه لأنه متأثر بغيابها ثم سمع والده يقول: ابنة يوسف عبد الله صاحب أكبر شركة استيراد وتصدير انفصلت عن زوجها ولاتزَل شابة جميلة وهى الوريثة الوحيدة لوالدها ما رأيك بالزواج بها ؟

هو ما بين حزنه على آسيا وصدمته من عائلته المتبلدة الإحساس فقالت والدته: اتفقنا على زواجه من آسيا لتنهي اللعنة ثم تطليقها . ثم أردفت: ولكنها الأن وزيرة ألا ترى كيف انقلب الإعلام على غيابها؟ كيف نخسر فتاة مثلها؟.
فيرد زوجها بنفس البرود: لن تفيدنا بشهرتها ولا منصبها في وزارة الآثار والسياحة نحن نحتاج إلى علاقات في مجال الاستثمار وأصحاب الشركات لنزداد ثراء وننشي شركات جديدة وندمج الشركات الخاسرة لنحصل على قروض أكبر.
وتحول حديث الجميع إلى المال والسلطة أيهما أقوى.

وهو يرمقهم بنظرات مصدومة، لم يتوقع أن يكون أقرب الناس إليه جاحدين إلى هذه الدرجة، فقد حاولت آسيا التقرب منهم واسترضاءهم، كانت تود أن تكون فرد حقيقي من أسرتهم ولم تفهم يومًا سبب تجاهلهم لها رغم قبولها زوجة لابنهم.

ضاق صدره وثقلت أنفاسه فما كان منه إلا أن غادر المنزل وتركهم في أحاديثهم حول المال وهام على وجهه من الضيق يبحث عن مكان يتخلص به من شعوره بالذنب ، أو يجد أحد يدله ماذا يفعل.

اتصل بريناي وكانت متأثره على غياب صديقتها، تحدث معها قليلًا عبر الهاتف وبعد أن أنهى المكالمة تساءلت مع نفسها: لماذا كان يسأل عن البئر التي سقطنا بها منذ عدة أعوام؟ لقد ردمتها آسيا ومنعت الحفر والتنقيب في تلك البقعة المشؤمة من الوادي.

****

الفصل الخامس عشر

آسيا مقيدة في مكان ما بين أكوام من الخردة وألواح خشب ملقاه هنا وهناك ، سيارات محطمة وقطع من المعادن متناثرة ، مكان كبير يشبه الورشة، وملتف حولها المجرمين وسيدهم يجلس على الكرسي يضع ساق على ساق ويدخن السيجار كمدخنة ويرمقها بنظرات التهديد ثم قال: هذه فرصتك الأخيرة للنجاة إذا تعاونتِ معنا.

آسيا شعرها متقصف ومتناثر حول رأسها كالثائر الغاضب الذي يقف منتصب، نصف وجهها مغطى بالدماء من التعذيب وقدميها مكبلتين بالسلاسل في الكرسي الحديدي المقيدة به ، عيونها بالكاد تفتح كثقبين صغيرتين وسط التورم الذي يحيط بعيونها الحمراء وبالكاد حركت شفتيها المنتفختين من التورم وصرخت: لا.

وهى تطالعهم جميعا بتحدي وتزفر ، فينظرون لبعضهم البعض بغضب واغلبهم يضع كفيه فوق خصره على أهبة الاستعداد لضربها ثم نظروا لسيدهم الذي تنهد ثم أكمل قائلًا: لن نطلب منكِ أن تسلمينا كل ما تعثري عليه، لتعطينا فقط نصفه وتحصلي على مكافأة كبيره ولن يعلم مخلوق بذلك لأن ما ستعطينا إياه كان مدفون في باطن الأرض ولا احد يعلم عنه شئ ولن يبحث خلفك أحد فأنت الوزيرة والجميع يثق بك. هزت برأسها بعناد وقالت والدم ينزف من شفتها السفلى: قلت لك لا، لن أخون بلدي وأخضع لجشعك أيها السارق ، أذهب لشخص أخر مستعد لبيع حضارة بلده لك أيها اللص الحقير . أما أنا فلن أهديك تاريخ بلدي فالتاريخ لا يهدى ولا يباع ولا يسرق ، وإن سرقت أثار بلدي ستظل تلك الأثار أينما ذهب واستقرت تنطق بتاريخها وتخبر العالم أنك سارق. اسرقوا أثار مصر والعراق، اسرقوا اثار لبنان وسوريا واليمن وأينما ذهبتم بها ستنطق بأمجاد بلادها لا بأمجادكم، فما لكم من أمجاد يا لصوص الماضي والحاضر. كظم رئيس العصابة غيظه وأكمل: ستظلين طوال حياتك فقيرة حقيرة ولن تنفعك الألقاب دكتورة أو وزيرة وها أنتِ تعملين منذ سنوات ولا تملكين سوى منزل صغير حصلت عليه بعد سنوات من الحفر والشقاء هنا وهناك في الصحاري. لم ترد بلسانها ولكن نظرتها له باحتقار كانت مهينة أكثر من الكلمات..

نظر إلى يساره وحدج مينا ومحمود واللذان يجلسان بالقرب منه بنظرة غضب ووعيد لا نظير لها وقال بسخط: كيف كنت غبي واستمعت لنصيحتكما بالتفاوض معها ؟ كان علي قتلها من البداية، وانتما لا تستحقان ما أنفقته من أموال لتبرئتكم واخراجكم من السجن، كان علي تركككم في السجن حتى تتعفنا. رد محمود بذل: سيدي أن لديها مهارة غير مسبوقة في اكتشاف الأثار والخونة لذا توقعنا أن عملها معنا هى أفضل صفقة قد نعقدها يومًا، فبدون تعاونها ستفسد علينا كل المحاولات. نهض من على مقعده بغضب ثم ركل الكرسي بقدمه ونظر لها بعيونه اللتان ينفجر منهما الغضب وقال: عذبوها حتى الموت ، اقطعوا أطرافها بدءًا من أصابعها طرف طرف لتنزف دمائها وتسيل من جسدها لتراها قطرة قطرة إلى أن تلحق روحها القذرة بتلك الدماء.

سار عدة خطوات بعيدًا وجلس على مكان مرتفع قليلًا كارتفاع درجتي سلم وجلس ينتظر رؤيتها مذللة بين قدميه، رمقها بنظرة أخيرة ليرى ردة فعلها فوجدها تنظر له كالأسد الذي يتلذذ بالنظر لفريسته قبل الانقضاض عليها وظهرت ابتسامة ساخرة على وجهها. اندهش من ردة فعلها وحملق بها! أي غرور هذا؟ هل فقدت عقلها؟ وقال بغضب: عذبوها الأن.

أغمضت عيونها ورفعت يديها وهما مكبلتان بالسلاسل فرمقها الجميع بتعجب وعلى وجههم تعابير التساؤل ماذا تفعل، بدأت تتلوا طلاسم وتعاويذ ما بصوت منخفض غامض لا تفهم منه كلمة، لدرجة أن أحد الحراس اقترب منها من الخلف ومال للأمام ليحاول أن يفهم ماذا تتلوا؟

فارتفع صوتها بتلاوة التعاويذ وارتفع صوتها شيئًا فشيئًا وملأ المكان بصدى صوت غريب وكان أحدهم يردد خلفها ولكن صدى الصوت الذي يردد مختلف تماما ، أنه صوت رجل! لا إنه كصوت الرعد. ركز مينا معها وصاح بجزع: أنها تتلوا تعاوي... سمع الجميع صوت النوافذ الحديدية في نهاية الجدران من الأعلى بقرب السقف وهى تغلق بعنف الواحدة تلي الأخرى، وتشتت مينا عما يقول ولا أحد ينتبه له حتى اغلق الباب في النهاية بطريقة غريبة وتلاشى قفل الباب فلم يعد في الباب من قفل يفتح منه.

بلع الجميع ريقهم وهم ينظرون حولهم في ذهول ويحملقون بالباب ثم سار ثلاثة منهم في اتجاه الباب يتأكدون مما شاهدوا فظهر خلف الباب قط أسود بهيئة مخيفة، شهق الثلاثة وتجمدوا في مكانهم والجميع ينظر له وحجمه يتضاعف مع كل خطوة يخطوها للأمام ثم تحول شكله فجأة إلى أنوبيس بعيون دموية مرعبة .

هرول أحد الرجال من الجانب للباب يفتحه بأمر من رئيس العصابة ولم يفلح فاطلق الرصاص على الباب دون توقف محدثًا به بعض الثقوب فصاح بهم مينا وهو يحملق بها وهى تنهض بأغلالها ويرتفع صوتها بالتعاويذ: اجعلوها تصمت أنها من تتسبب في كل ذلك .

فاتجه لها ثلاثة منهم فقفز انوبيس من موضعه وطار في الهواء كالرياح وهبط وانتصب أمامها وحدق بهم بعيون ينثر من النيران وهى خلفهم تبتسم لهم بانتشاء، فتراجع الثلاثة للخلف فصاح بهم رئيس العصابة: أطلقوا عليها النيران من بعيد

واقتلوها . فنزع الرجال مسدساتهم من ملابسهم ورفع آخرون بنادقهم وأطلقوا الرصاص في اتجاهها كالسيل. سمع الجميع صوت اختراق الرصاص للخردة والسيارات القديمة والسقف والنوافذ إلا هى التي رمقتهم بنظرات التحدي وتبتسم ساخرة بينما الدماء على شفتيها وخديها تزيد رهبة وجهها الذي صار يرعبهم بكل نظرة. تفحص المجرمون مسدساتهم وأسلحتهم وهم ينظرون لها فاختفى انوبيس من أمامها فألتقط الجميع أنفاسهم وذهب الروع عنهم ونظر بعضهم لها وأحدهم يقول وهو يقترب منها خطوتين: لقد غادر، وما كاد يتم كلمته حتى ظهر أمامها شبح عملاق منتصب فزع الجميع مجددًا.

هرول مينا في اتجاه الباب وهو مغلق فرأه يقف خلف الباب في انتظاره ، فتراجع للخلف فاصطدم بشيء استدار في رعب فوجده خلفه ثم مد الشبح مخالبه فاقتلع قلبه من بين ضلوعه وأخرجه والقاه أمامه وتركه ينفجر بالدماء وهو يصرخ ويسقط على الأرض ويحتضر.

عم الفزع والجوع أرجاء المكان وانحلت سلاسل آسيا ووقفت تشاهد ما يحدث بهدوء. ركض الجميع يهربون في كل اتجاه ولا مكان يفرون إلسه ، منهم من اشتعلت النار في عيناه حتى فرغت محاجره وسقط على الأرض يهزوا من شدة الألم ويلامس محجريه بأنامله، واخر وجد ثعبان ضخم يلتف حول ساقيه ويزحف فوقه حتى وصل إلى وجهه ففتح فمه كتمساح وابتعله ثم تقيأه هيكل عظمي مخضم بالدماء، ثالث هجمت عليه حشرات من كل حدب وصوب حتى افنته وهو يصرخ ويتقلب بينها.

أمواج من النيران أغرقت المكان تحرق ما تبقى منهم إلا آسيا، وآما رئيس العصابة فوجد نفسه مكبل بالسلاسل التي قيد بها آسيا وهو يركل بقدميه بفزع يحاول تخليص نفسه ثم زحفت عليه العقارب وظلت تلدغه وهو يستغيث بآسيا إلى أن مات وهو يصرخ مفتوح الفاه جاحظ العينين، عندها إنحلت السلاسل عن جثته. مزق الشبح ما تبقى من جثثهم ونثر أطرافها في الهواء وهو يضحك بانتشاء ساخرًا على الرؤوس والأيدي والاذرع ثم أدار لها وجهه وقال وهو يشير لها بمخالبهُ بغطرسة : والأن اركعي أمامي إلى الأبد. ضحكت بسخرية وقهقهت ومالت للخلف من شدة الضحك حتى ملأ صوت ضحكاتها أرجاء المكان ثم قالت: حتى الاشباح يصيبهم الزهايمر في بعض الأحيان فيرتكبون الأخطاء مثل البشر تماما. كالعادة تحول إلى دخان ودار حولها وهى غير خائفة وترمقه بنفس نظرة السخرية ووقف أمامها فحدقت في وجهه القبيح بقوة وقالت: لكي تغويني دللتني على أماكن الآثار والمقابر الواحد يلي الأخر ونسيت أن مقابر المصريين القدماء لا تحتوي فقط على الكنوز بل على الأسرار التي هى أغلى من الكنوز .

تضاعف جحمه وزاد من بشاعة هيئته ليخيفها وهو يقول بصوت منفر يملأ أرجاء المكان : اركعي ، لا يمكنك الهروب مني الأن بتلك الكلمات ، لقد تلوتي التعاويذ وطلبت مساعدتي وقد قتلت لك الجميع ، ومضى وقت الهروب، تعلمين خطورة ما استخدمتِ من تعاويذ السحر الأسود الأن . ضحكت بنفسة السخرية وقالت: ومضى زمن الهروب، الأن أستطيع حماية نفسي وتعلمت من أخطائي . ثم أكملت باستهزاء من تهديده: هل تعلم ماذا وجدت في مقبرة خنوم حتب الكاهن الأكبر لمعبد اوزير؟

صار رع مسيس الشبح يفكر كبشري فيما تقول وأغمض عيونه ليرى ماذا وجدت في مقبرة خنوم حتب؟
رأى الجميع يحفرون وينقبون وآسيا تقف على رؤوسهم ويظهر مدخل المقبرة و ينزلون ويهبطون السلم للأسفل درجة درجة يبددون الظلام بمصابيحهم فتضيء الجدران بنقوشها ، ثم يفتحون الباب وينتشرون في المقبرة كالنمل.
بينما تدور آسيا في المقبرة كالصقر تترصد الجميع بعيونها ثم تقف فوق مومياء خنوم حتب وتشير لأحد العاملين إلى أحد جوانب المقبرة وتشير الثاني كذلك حتى فرقت الواقفين فوق المومياء بدهاء ، ثم تتلصص عيونها وترصدت وترقبت وانحنت فجأة فوق المومياء وأخذت شئ ما ملفوف بقطعة من الكتان كانت تمسك بها المومياء في يدها بحرص ، وبلمحة بصر اخفته في ملابسها على غفلة من الجميع . توقف عقل رع مسيس الشبح عند هذه النقطة ، بدى وجهه الأسود المخيف يحاول أن يعرف سر ما ولا يستطيع ، عاد للحاضر وفتح عيونه الشيطانية وحدق بها وهى تنظر له وتضحك بسخرية ثم قالت: هل يلتهم الفضول عقلك الشيطاني ولم تتمكن عيونك من رؤية ماذا أخفيت؟
عيونه على وشك الاشتعال من الغضب يخرج منها الدخان ويزداد كثافة فتابعت حديثها في سخرية: أليس كذلك؟
بل ولا تستطيع أن تكتشف أين هو الأن؟ تابعت الضحك منه في سخرية وقالت: إنه السحر يا صديقي إنه السحر لقد طوره البشر وتغلب على امثالك من الاشباح .

ثم مدت يدها إلى جيب صدرها واخرجت من ثيابها قلادة غريبة الشكل وأمسكت بها بيدها ورفعتها أمام وجهها وهى تبتسم . وما أن أخرجتها حتى إضاءة القلادة في وجه الشبح كالنار ، فصرخ وهرب بعيدًا وهو ينظر لها كالبركان الثائر ولا يستطيع أن ينالها بناره ولا جمراته الملتهبة التي يقذف بها في كل مكان حوله ويمزق فيما تبقى من الجثث من الغضب. وقالت بفخر بصوت مرتفع لتسمعه إياه: عثرت على قلادة ايزا دورا عظيمة السحر ولن تستطيع أن تؤذيني أو تجبرني أو تسحرني مرة ثانية، القلادة ستحميني من كل الأشباح ولا يستطيع البشر العاديين أو الأشباح رؤيتها ولن أخلعها مجددًا . ضحكت باستهزاء وهى تنظر له بشماتة وقالت: لقد هزمت ساحرك وخرجت من مقبرته على قيد الحياة والأن هزمتك أنت.

سارت بهدوء وبخطوات واثقة بين ما تبقى من أشلاء العصابة والدماء التي تملأ الأرض ورع مسيس ينفجر من الغضب ويصب جل غضبه على ما تبقى من الجثث تارة فينهشها وتطاير الأشلاء في الهواء رؤوس ، أذرع ، أقدام، حتى أفنى الجثث والأطراف فلم يبقى منها عظمة واحده فأخذ يصب ما تبقى من الغضب في إشعال النيران في السيارات القديمة والخردة ويصرخ بغضب كالديناصور .

وهى تسير للأمام لا تأبه لغضبه حتى وصلت لنهاية المكان عند الباب، لاحظت انخفاض صوت غضبه ثم تحول إلى سكوت فلم تهتم لتنظر لماذا صمت؟ وما هى إلا لحظة حتى سمعت صوت ضحكات رع مسيس يتردد في المكان حولها بسخرية. ترددت في أن تستدير لترى لماذا يضحك؟ ولكن الفضول قتلها فاستدارت ، فرأت دبلة تلقى في وجهها وسقطت على الأرض الصلبة وارتطمت بها وتردد صوت رنينها ودارت على الأرض مرتين ثم استقرت فرأت ما كُتب عليها.

داخلها اسمها مكتوب باللغة المصرية، حدقت بالدبلة لأنها تعرفها جيدًا ثم قالت وهى تنظر حولها حيث اختفى رع مسيس : هل هذه خدعة جديدة للسيطرة علي؟

****

الفصل السادس عشر والأخير

سمعت صوته يضحك بسخرية من دون أن يظهر قائلًا: مضى زمن الخدع ، خدعتك ثم خدعتني والآن لم يبقى لنا سوى الحقيقة ، القلادة ستحميك فمن الذي سيحمي زوجك؟ وضعت يدها على فمها وعيونها حائرة وهى تقول: زوجي.

فظهر أمامها بعيون شامتة وألقى في وجهها حذاءه، ثم ظهر في يده عصاته والقاها في الهواء فصنعت سحابة من الدخان وفي داخل السحابة رأت زوجها أحمد يقف فوق البئر ويحفر بين العمال بلهفة ويقول بصوت منخفض وهو ينظر للبئر والندم في عيونه: أنا هنا من أجلك ، جئت بإرادتي لأكون عبد لكي ، اقتليني أو حوليني إلى شبح كما تشائين ولكن اتركي زوجتي ، اتركي آسيا أرجوك اتركيها.

صرخت وهى تمد يدها عليه : أحمد، أحمد لا توقف ، توقف ارجوك أنا هنا يا حبيبي. وغرقت عيونها بالدموع وهى تركع على قدميها وتبكي وتنظر له وحولها يقهقه رع مسيس ودار حولها في شماتة وقال: لكن أخطاء البشر أكثر غباءً وانظري من ينتظره بالأسفل في مقبرة الساحر.

وعبث بعصاته في سحابة الدخان ليتغير ما ترى من فوق الأرض إلى باطنها حيث تقف نيس في المقبرة كالمومياء وهى تكشر عن أنيابها قائلة: سوف استعيده إنه لي ، إنه لي. ومن حولها المومياوات ثم قال شبح الساحر: أجل إنه لها من البداية. فصرخت آسيا بحرقة ونظرت ل رع مسيس وقالت: اجعله يتوقف وسأحقق لك ما تريد. وركعت

على ركبتيها والدموع تنهمر وقالت وهى تبكي: أرجوك. جلس رع مسيس على الكرسي وهدأت النيران والدخان من حوله وقال: اخلعي القلادة ودمريها وسأنقذه لكِ.

وضعت يدها على القلادة تتحسسها بأناملها وتنظر لها وهى تمسك بقلب القلادة وتتذكر زوجها وهو ينظر لها بحنان عند مرضها وتسمع صوته يقول: سامحيني ، وصوته وهو يقول: احبك ، لقد احببتك يا سمراء الوادي ، وهو يدندن بالغناء قائلًا: ملكات مصر القدامى ملكن مصر وأنتِ ملكت قلبي يا سمراء الوادي ونظر لها بحب واشرق ثغره بابتسامة وقال مغازلًا: مصر لجميع المصريين أما قلبي فهو لك وحدك .

رفعت ناظريها عنه إلى رع مسيس بمذلة وهى تمسك بقلب القلادة في يدها، ثم تغيرت نظرة عيونها له فجأة إلى نظرة لا يفهم معناها ونهضت وهى تصيح به : لا. وأكملت نهوضها وانتصبت قائلة: من دون القلادة لن أستطيع أن احمي نفسي منك ومن اشباحك وأنت لن تنفذ وعدك ف نيس هى من سلطتك من البداية .

وأخذت تهرول وتركض حتى خرجت وركبت أحد سيارات العصابة وقادتها بأقصى سرعة وهى تقول: يا رب ضع العقبات في طريقه يا، يا رب ابطيء من سعيه قليلًا يا رب.

قادت السيارة بجنون وتصطدم في الطريق بالمباني والسيارات وحتى أعمدة النور التي على جانبي الطريق وينظر الناس للسيارة المجنونة ولا يرون أحد يقودها. حتى الكاميرات في الشارع تلتقط السيارة بدون سائق .

وفي وادي الملوك يحفر العمال وأحمد على رؤوسهم وأحد العمال يقول: لقد اقتربنا أنا كنت من ضمن العمال الذين ردموا هذه البئر وبما أننا وصلنا لهذا الجزء من جدران البئر إذن فإنه لم يتبقى سوى القليل على قاعها .

ضرب أحد العمال الفأس فسمع صوت اصطدام الفأس بشئ صلب، فنظر الجميع وازالوا الأتربة فوجدوا صخرة كبيرة تحت أقدامهم. فقال أحدهم وهو ينظر إلى أحمد بالأعلى: أنها صخرة كبيرة ستعطلنا لبعض الوقت، يا متولي أحضر الحبال .

وهى تقود السيارة بنفس الجنون واشتد الزحام فاصطدمت بسيارة أخرى والصدمة كانت مدمرة هذه المرة ، فتعطلت السيارة ولم تعد تعمل وآسيا تحرك مفتاح السيارة بيدها في محاولة منها لجعلها تعمل، زفرت عندما ادركت أنها تعطلت تماما ، دفعت باب السيارة بيدها بغضب وتركت السيارة يخرج الدخان من مقدمتها بعد أن تسببت بكارثة في الطريق وتراكمت السيارات حول بعضها واكملت الركض غير مكترثه بما حدث.

أزال العمال الصخرة واخرجوها من البئر بشق الأنفس وعادوا للحفر وهو ينظر للحفرة بفارغ الصبر، لم يتبقى سوى القليل

قالها أحد العمال وهو يتحدث إليه ثم طالع السماء بريبة حيث الجو من حولهم ينقلب والسماء تتحول من فوقهم إلى اللون الرمادي من الضباب الذي بدأ يغلفها. لاحظ العمال ذلك فتوجسوا وارتعشت أيديهم وهم يزيلون الأتربة من قاع البئر، ظهر المدخل أسفل أقدامهم وسمعوا صوت يصدر منها فقذف الرعب في قلوبهم عند سماعه وطالعوا بعضهم في خوف ثم نظروا بسرعة للأعلى وقال أحدهم: لقد وصلنا لقاع البئر .

واسرعوا في الصعود وهم ينظرون للأسفل بخوف، وصلوا للسطح الأرض والتفوا حول البئر وأحمد يقول في سره: لماذا لم تخرج؟ خطف البرق عيونهم وضرب صوت الرعد آذانهم فتشتت الجميع حول البئر وقال أحدهم: هذا نذير شؤم ، نذير شؤم. ولاذ بالفرار يتبعه باقي العمال وخلا الوادي ولم يبقى سوى هو يقف فوق البئر ويقول: ها قد ذهب الجميع وأنا بمفردي.

في قاع البئر بدأت ترتفع الدماء من القاع كالفيضان وتغرق البئر حتى وصلت للسطح ، ومن وسط الدماء خرجت نيس كالشبح مرتدية فستان زفاف أسود وتبتسم بأنيابها ومن خلفها تخرج المومياوات وتحيط بالبئر وبأحمد وترقص رقصة انوبيس ونيس تقول بصوت كالهدر: أجل أنت لي من البداية . رد هو: أنا لكِ افعلي بي ما شئتِ ولكن اتركي آسيا وشأنها. ضحكت وسارت له بأقدام كثيرة كالأخطبوط ودارت حوله .
وتكرر: جئت لي برغبتك لن تستطيع العودة. فسمع كلاهما صوت يصرخ قائلًا: لا ، أحمد توقف، أنا هنا.
ظر فوجد أسيا تسعى من بعيد أسفل الجبل وتصرخ: توقف. صُدم من الدهشة واذهله رؤيتها وقال : آسيا .

حاول السير في اتجاهها فأغلقت المومياوات الطريق أمامه والتفت حوله حتى أغلقوا عليه الدائرة.
وصلت آسيا له وصاحت بها: اتركيه إنه زوجي إنه زوجي . فضحكت نيس ساخرة وقالت: لقد تأخرتي وقد قال كلمته برغبته هو لي ، سأمتلكه واحول روحه إلى شبح وجسده لمومياء ونعيش للأبد لن نموت .
وهو يحاول الخروج من بين المومياوات فلا يستطيع فصرخت آسيا: سأحمي زوجي منك ومن اشباحك ايتها الحقيرة .

ومرت من بين المومياوات فخافت المومياوات منها وابتعدت عنها في خوف إلا نيس ، ووقفت أمامه ثم وضعت يدها على خده برفق وقالت وهى تنظر في عيونه بنوده: أنت اغلى عندي من نفسي. ونزعت القلادة من رقبتها وقامت بإلباسها له وهى تقول محذرة: ارجوك لا تخلعها ابدًا. وهو ينظر ولها وللقلادة بغرابة غير مدرك ما الذي تفعل. فصرخت نيس في غضب والدماء تخرج من عيونها وتحولت المومياوات من حوله إلى تماثيل لا تتحرك ثم انهارت في لحظة واحدة.

و رأي نيس تتلاشى وتسقط في البئر وهى تصرخ وتحترق من الغضب ثم تنكمش وتسقط كالصخرة وتهوي للأسفل، وينهال التراب فوق البئر من تلقاء نفسه حتى ردمها إلى آخرها. نظر كلاهما للبئر وقال وهو ينظر لها بعيون مطمئنه: انتهى كل شئ أليس كذلك؟ ردت بعيون قلقة وبصوت خافت: أجل انتهى كل شئ هنا كما بدأ هنا. احتضنها بحُب وهو سعيد ثم قبلها في جبهتها ومسح بعض الدماء عن وجهها بكم ملابسه وأمسك بيدها وسار بها فسمعت آسيا صوت يقول لها بسخرية: بلى لقد بدأ كل شئ من جديد.

وانفجر الدخان الأسود في الأفق أمامهم وخرج منه رع مسيس بحجم عملاق ضاحكا بخبث وقال: لقد خلعتي القلادة لتحمي زوجك ولو خلعها ستعود له نيس. تحجرت في مكانها وهى تطالعه في يأس فنظر لها أحمد وهو لا يرى ما قد رأت وقال: لماذا توقفتي؟ فلم ترد فقال وهو يمسك بوجهها بين كفيه برفق ويديره وينظر في عيونها : حبيبتي، ماذا هناك؟ فنظرت له بحزن وقالت: سأظل احبك للأبد. ثم تركت يده و. شاهدها تبتعد من دون أن تتحرك أقدامها وكأن شئ يسحبها وهى صامتة ومستسلمة، تدمع عيونها وتنظر له وهو تبتعد أكثر وأكثر وكأنها شمس تغرب. وهو يحاول اللحاق بها ولكن شئ ما يشتته فلا يراها جيدًا بل يراها تتحول إلى خيال. وتبتعد بين الجبال حيث التف حولها رع مسيس وسحبها كالرياح التي تحمل الرمال بسهولة، سمعت آسيا وهى مكبلة بين اذرعه بصوت يقول: اترك صديقتي وأذهب للجحيم أنت ومن ارسلك فمكانك بين الأموات والمقابر وليس بين الأحياء.

واضطرب الرياح من حولها وسط غضب رع مسيس وسقطت آسيا من بين أذرعه على الأرض حتى شعرت بالرمال بين أصابعها واختفي رع مسيس وهو ينفجر من الغضب وسط دوامة من الرياح العاتية التي تسحبه هو هذه المرة وتحبسه بداخلها، وتدور معه كل هيئته وأشكالها التي تشكل بها،صورته عندما كان يظهر لها كطفل في الأحلام ثم كشاب ثم ملك وشيطان وانوبيس وكل أشكاله وتدور وتتلاشى بعيدًا .

نهضت من على الرمال وهى تنظر حولها لا تفهم ما الذي يحدث؟. فرأت من بعيد أحمد ورينايي وشقيقها يسعون لها في سعادة ويلتفون حولها وتقول لها رينايي: لقد انقذناك من الشبح وأردفت وهى تنظر لها: ولكن لكل شئ ثمن . ردت آسيا بدهشة وهى سعيدة وتنظر بعيون مليئة بالأمل وتغالب دموع الفرح: كيف استطعتِ انقاذي؟ جذبتها رينايي من يدها قائلة: سأخبرك بعد أن نغادر الوادي ، عليك مغادرة الوادي

بسرعة . وسحبها شقيقها من يدها الأخرى وهو ينظر للخلف بينما يركب أحمد السيارة ورينـاي تقول له : قد السيارة بأقصى سرعة حتى نخرج من ذلك الكابوس .

****

جلست رينـاي تحكي لها في القصر وقائلة: اشتكى لي أحمد من الأشياء الغريبة التي تحدث معكما والتي بدأت بعثورك على حقيبة نيس وسط المقبرة ... فقاطعتها آسيا قائلة: هل كانت الحقيبة ل نيس ؟.
رينـاي وهى ترتشف رشفة من القهوة: أجل كانت ل نيس والحذاء بالتأكيد .

آسيا وعيونها متسعة: بالفعل كان يبدو مكمل لها وكأنهما طقم واحد. فأكملت رينـاي بعد أن وضعت كوب القهوة على المنضدة: عرفت انها تحاول السيطرة عليكِ ومن وقتها وأنا أبحث عن السحرة الماهرين لتخليصك من هذه اللعنة وعثرت على رجل ماهر في الوقت المناسب عندها وجدت أحمد يتصل بي ويسألني عن البئر. وفي النهاية ساعدني شيخ بتخليصك مما اصابك بذبح خنزير فوق البئر لطرد روح الشبح وأشياء كثيرة كنت أقوم بها من قبل لوقت طويل .

صمتت لحظة وآسيا تنظر لها بإهتمام ومنصته فأكملت :لكن كما أخبرتك لكل شئ ثمن وثمن تخليصك من ذلك الشبح ألا تطأ قدمك وادي الملوك ما بقى من حياتك، ليس هذا فقط بل لن تدخلي أي من مقابر المصريين القدماء مرة ثانية ، أرواح الاشباح كلها تعرفت عليكِ وحراس المقابر يترصدونك.

ثم قالت رينـاي ل آسيا التي شرد ذهنها فيما سمعت: آسيا هل تسمعيني جيدًا ؟ نظرت لها بحب وقالت : لا بأس أنا حققت كل ما أريد وهذا أجمل ما اتمناه أن احيا حياة طبيعية وأما عن وادي الملوك ... ثم ضحكت وتابعت: لقد أخرجت قلبه الذهبي ووضعته في المتاحف. ونظرت ل أحمد وقالت: سنبدأ حياة جديدة بعيدًا عن رع مسيس ونيس . فضحك وقال وهو يأخذ نفس عميق: أجل اخيرًا سنكون بمفردنا . ردت وهى تبتسم: لا لن نكون بمفردنا . فرد متسائلًا: لن نكون بمفردنا! وزفرت وقال:من سيكون معنا مجددًا؟

أكملت بنفس الابتسامة لم تنقطع عن ثغرها: في الحقيقة لا اعلم هل اقول هو ام هى؟ بعد عدة أشهر من الأن بإذن الله سنحمله ونرى هل هو ولد أم بنت. اندهش وقال بسعادة: كنتِ حامل كل ذلك الوقت وبين كل هذه الحوادث والاشباح؟ ضحكت وقالت: كنت غير متأكدة ولذا لم اخبرك ولكن الأن تيقنت أنني حامل في اقوى طفل في مصر بأسرها! يبدو أنه أخذ من الاشباح بعض القوة .

أحمد بابتسامة: لو كانت فتاة ماذا سنطلق عليها؟ ردت بثقة: أنا من ستختار الاسم.
ونظرت إلى عنقه حيث لازال يرتدي القلادة وقالت: سأسميها ايزا دورا لأنها هى من انقذتك .
فردت رينـاي ممازحة وصربتها برفق على رأسها : بهذه السرعة نسيتي أنني من انقذتك؟ وتزكرتي فقط القلادة.

فأكملت آسيا وهى تمزح : لا بأس سأسميها ايزا دورا واناديها رينـاي والقبها ب نسوبيتي تا مري وسات كمت، وادللها نبت بنرت . فنظر الاثنان لهما بغرابة غير مدركين ما تقول فضحكت وأردفت: هكذا كان يفعل المصريين القدماء .
فصاح بها الجميع: يكفي يكفي من القدماء. فضحكت وقالت: كنت امزح ، كنت امزح .

وبعد ثمانية أشهر وضعت توأم ولد وبنت واطلقت على البنت ايزا دورا والولد أحمس.

أجل، أحمس وايزا دورا ، فعام واحد غير قادر على جعلك تتوب عن عشق أعوام طويلة...

تمت بحمد الله ....

تحياتي لكم

منة طارق سليم ❤️‍🩹